

برنامج(قرآنا عجبًا)

لتدبر وحفظ القرآن الكريم

سورة المائدة

مَقْصُودُها الوَفاءُ بِما هَدى إلَيهِ الكِتابُ؛ ودَلَّ عَلَيهِ مِيثاقُ العَقْلِ مِن تَوْحِيدِ الخالِقِ؛ ورَحْمَةِ الخَلائِقِ؛ شُكْرًا لِنِعمِهِ؛ واسْتِدْفاعًا لِنِقَمِهِ؛ وقِصَّةُ المائِدَةِ أدَلُّ ما فِيها عَلى ذَلِكَ؛ فَإنَّ مَضْمُونَها أنَّ مَن زاغَ عَنِ الطُّمَأْنِينَةِ بَعْدَ الكَشْفِ الشّافِي؛ والإنْعامِ الوافِي؛ نُوقِشَ الحِسابَ؛ فَأخَذَهُ العَذابُ –البقاعي-

قال ابن القيم - رحمه الله- في تقرير شفاء القرآن:

«فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدا.

وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء؟ الذي لو نزل على الجبال لصدعها وعلى الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه»





التدرج في الحديث مع أهل الكتاب

سورة الفاتحة

"المقدمة "

سورة البقرة

"المنهج"

سورة آل عمران

(الثبات على المنهج)

سورة النساء

أول أسس الشريعة (العدل)

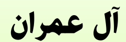
سورة المائدة

الأمر الثاني في الشريعة

(الوفاء بعقد الشريعة)

البقرة

بيان لأخطاء أهل الكتاب مع الدعوة إلى التميز .



آل عمران

مناقشة هادئة وإيجاد نقاط مشتركة.

النساء

انتقاد غلو أهل الكتاب واختلافهم في عيسى عليه السلام.

المائدة

مواجهة شديدة لأهل الكتاب.





مقاصد الشريعة في السورة



1. حفظ الدين:

(يأيّها ٱلّذِينَ ءامَنُواْ مَن يَرْتَدّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) (54)

فأول ما تهتمّ به الشريعة هو حفظ الدين وترك الكفر.

2. حفظ النفس:

(مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْراءِيلَ أَنّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلأرْضِ فَكَأَنّمَا قَتَلَ ٱلنّاسَ جَمِيعاً)(32) وفيها تحريم قتل النفس.

3. حفظ العقل:

(إِنّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأنْصَابُ...) (90) والغاية من تحريم الخمرة هي حفظ العقل.

4. حفظ العرض:

(مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتّخِذِى أَخْدَانٍ) (5)

(في تحريم العلاقة بين الجنسين قبل الزواج).

5. حفظ المال:

(وَٱلسّارِقُ وَٱلسّارِقَةُ فَٱقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَاْ) (38).

(أَفَحُكْمَ ٱلْجَـاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللّهِ حُكْماً لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

فشرع اللّه تعالى هو أحسن شرع لضمان مصلحة البشرية في الدنيا والآخرة،

الأوامر والنواهي المطلوب إيفاؤها إنما هي لضمان مصلحة الناس







موضوعات السورة:

مِن أَبرزِ الموضوعاتِ التي تناولَتْها سورةُ المائدةِ:

1- تقريرُ العقيدةِ الصَّحيحةِ، والاهتمامُ بأمورِ التَّوحيدِ، وتَصحيحُ الكثيرِ مِن المعتقَداتِ الباطلةِ، والتذكيرُ بيومِ القيامةِ.

2- تقريرُ أنَّ الحُكمَ للّهِ تعالى وحدَه، وأنَّه لا حُكمَ أحسنُ مِن حُكمِ اللّه تعالى، مع بيانِ وجوبِ الحُكمِ بما أنزلَ اللّهِ تعالى، وإلغاءِ حُكْمِ الجاهليَّةِ وتقبيحِه.

3- التأكيدُ على عقيدةِ الولاءِ والبراءِ، والتشديدُ على تولِّي المؤمنين، مع التحذيرِ غايةَ التحذيرِ من تولِّي أهلِ الكُفرِ، وبيانِ أنَّ الذين في قلوبِهم مرضٌ هم المسارِعونَ في تَوَلِّيهم.

4- تنظيمُ علاقاتِ المسلمينَ مع غيرِهم، خاصَّةً اليهودَ والنَّصارى.

5- بيانُ كثيرٍ من الأحكامِ الشَّرعيَّة وتوضيحُها؛ فمِن ذلك: الأحكامُ الشَّرعيَّة المتعلّقة بالعبادات والمعاملاتِ؛ كأحكامِ العُقود، والذَّبائح، والصَّيد، والإحرام، ونِكاح الكتابيَّات، والرِّدَّة، وأحكامِ الطَّهارة، وحَدِّ السَّرقة، وحدِّ البغي والإفسادِ في الأرضِ (الحِرابة)، وتحريمِ الخَمْر والميسر، وكفَّارةِ اليَمين، والنَّهي عن قَتْلِ الصَّيدِ في الإحرام، والوَصيَّةِ عندَ الموتِ؛ إلى غيرِ ذلك.

6- اشتملتْ سورةُ المائدةِ على بعضِ القِصصِ، ومِن ذلك قِصَّةُ بني إسرائيلَ مع موسى عليه السلامُ، وقِصَّة ابنَيْ آدَمَ، وقِصة المائدة.

7- بيانُ أحوالِ أهلِ الكتابِ، ونقضِهم للعهودِ وتحريفِهم للكتبِ المنزَّلةِ، ومناقشةُ بعضِ عقائدِهم الزَّائفةِ؛ من نسبةِ الولدِ إلى اللّه، وإنكارِ رِسالةِ محمَّدٍ صلَّى اللّه عليه وسلَّمَ، إلى غيرِ ذلك من عقائدِهم الباطلة.

وقفات مع سورة المائدة - أقسام السورة

- القسم الأول
- نداءات للمؤمنين فيها أحكام شرعية والحث على الوفاء بالعقود وذكر أربعة أمثلة لمن خالفوا العقود

- القسم الثاني
- تثبيت للنبي صلى اللّه عليه وسلم وبيان لحال قوم نقضوا العهود مع أمور أخرى

- القسم الثالث
- أمر للنبي صلى اللّه عليه وسلم بإكمال التبليغ لأهل الكتاب وللمسلمين

- خاتمة
- ذكر قصة عيسى عليه السلام

ختام لمسألة الوفاء بالعقود وهو تذكير للمؤمنين بعاقبة من يصدق ويوفي وتحذير لغيرهم

لو تتّبعنا النّداء في القرآن الكريم كاملاً لوجدنا أنّه ورد النّداء بوصف الإيمان **ثمانية وثمانين مرّة**، ورد في سورة المائدة فقط **ستةَ عَشَرَ مرّة** ومنه هذه الآية التّي في أوّل السُّورة

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ"(1)

(يا أيُّها الذِّين آمنوا من يَرتَّد منكم عن دينه فسوف يأتي اللّه بقوم (54).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تتَّخِذوا الذِّين اتَّخَذُوا دينكُم هُزُواً ولَعِباً (57) .

(يا أيُّها الذِّين آمنوا شهادةُ بينِكُم إذا حضَرَ أحَدَكُم الموت حين الوصية(106).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائِرَ اللّه(2) .

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تتَّخِذُوا اليهُودَ والنَّصارى أولياء (51)

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تُحَرِّمُوا طيّباتِ ما أحَلَّ اللّه لَكُم (87).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا عليكُم أنفُسَكُم لا يَضُرُّكُم من ضَلَّ إذا اهتديتم (105).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا إذا قُمتُم إلى الصَّلاة فاغسلوا وجُوهكم(6).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا اتّقوا اللّه وابتغُوا إليه الوسيلة (35).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا إنَّما الخَمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشَّيطان فاجتنبُوه لعلكم تُفلحون (90).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تَسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكُم تَسُؤكُم (101).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا كُونُوا قوّامين للّه(8).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا أُذكروا نعمةَ اللّه عليكم (11).

(يا أيُّها الذِّين آمنوا ليَبلوَنّكم اللّه بشيءٍ من الصَّيد تنالهُ أيديكُم ورِماحكم (94) .

(يا أيُّها الذِّين آمنوا لا تقتلُوا الصَّيدَ وأنتُم حُرُم (95).



✓تتحدث السورة عن صفة أساسية للّه و هي (الملك).☜أنت تعيش في مملكة الملك و بينك و بينه عقود ..

الملك هو من يحكم في مملكته. إنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

مِن أَهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنتْها سورةُ المائدةِ:

1- التَّأكيدُ على حِفظِ العُهودِ والمواثيقِ والوفاءِ بها

2- بيانُ الكَثيرِ من الأحكامِ الشَّرعيَّةِ .

3- تَنظيمُ العَلاقاتِ بينَ المسلمينَ وغَيرِهم

لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

✓اسم السورة (المائدة)

من قصة المائدة و موقف الحواريين مع سيدنا عيسى عليه السلام.

جمعت القصة بين شعورين ، شعور النعمة ،و شعور الخوف .

و الشعورين مطلوبين في التعامل مع الملك .

حول السورة

سُورةُ المائدةِ مِن السَّبعِ الطِّوالِ التي أُوتِيَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مكانَ التَّوراةِ:
فعَن واثلةَ بنِ الأَسقعِ رضِي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((أُعطِيتُ مَكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مَكانَ الزَّبورِ المِئِينَ، وأُعطيتُ مَكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفضِّلتُ بالمفَصَّلِ)) رواه أحمد.

- من خَصائصِ هذه السُّورةِ: أنَّها مِن آخِرِ ما نزَلَ مِنَ القُرآنِ :
- وقيل: إنَّ سورة المائدة مُحكَمةٌ ليس فيها منسوخٌ، وقد ورَدَ هذا عن ابنِ عبَّاس وعائشةَ وعمرِو ابنِ شُرَحبيلَ وجمعٍ من السَّلفِ. قال ابنُ حجر: (حتَّى صحَّ عن ابن عبَّاسٍ وعائشةَ وعمرِو بنِ شُرَحبيلَ وجمْعٍ مِن السَّلف: أنَّ سورةَ المائدة مُحكَمةٌ) .
- فعَن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو رضِي اللّه عنهما، قالَ: (آخِرُ سُورةٍ أُنزِلَت سورةُ المائدةِ) .
- وعن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، أن عائشةَ رضِي اللهُ عنها، قالت له: (يا جُبيرُ، تَقرَأُ المائدةَ؟ فقال: نَعم، قالتْ: أمَا إنَّها آخِرُ سُورةٍ نَزَلَت) .

من خَصائِصِها: أنَّها أجمعُ سُورةٍ في القُرآنِ لفُروعِ الشَّرائعِ، وذُكِر فيها مِن التَّحليلِ والتحريمِ والإيجابِ ما لم يُذكَرْ في غيرِها
قال أبو حيَّان: (قد تَضمَّنت هذه السورةُ ثمانيَ عَشْرةَ فريضةً لم يُبيِّنْها في غيرِها) ((تفسير أبي حيان)

وقال ابنُ عاشور: (احتوتْ هذه السورةُ على تشريعاتٍ كثيرةٍ تُنبِئُ بأنَّها أُنزلت لاستكمالِ شرائعِ الإسلام)

مناسبة سورة المائدة لما قبلها (سورة النساء)



لما كانت سورة النساء تشتمل على عدة عقود؛ كعقد النكاح، وعقد الأيمان والمواثيق والوصية والوديعة والوكالات والإيجارات وغيرها، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: «يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود .



لما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله: «يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود)

3

افتتحت سورة النساء بقوله: «يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» وهو دليل القدرة، وختمت سورة المائدة بقوله: «للّه ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قديرا ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وهو صفة القدرة.



افتتحت سورة المائدة بذكر الأطعمة عقب سورة النساء التي من أعظم مقاصدها النكاح المشروع فيه الولائم المشتملة لأصناف الأطعمة




اتحدت سورة النساء والمائدة في تقرير الفروع الحكمية



خاتمة سورة النساء في تقسيم الإرث بين الإخوة والعلاقة المالية بين الأقرباء، وأول سورة المائدة في العلاقة مع الآخرين".

7

مهدت سورة النساء لتحريم الخمر في قوله: (يأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء: 43]، وحرمتها سورة المائدة بنحو قاطع في قوله: «يأيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة: 90] فكانت متممة لشيء مما قبلها .



لما قال في سورة النساء: « إنا أنزلنا إليك الكتب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ [النساء: 105]، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل اللّه حتى بين الكفار "

9

فختم سورة النساء بالتشريع، وافتتح سورة المائدة بالتشريع؛ تتميما لما بدأه في تلك، فناسب ختام تلك



قال في أواخر سورة النساء: إن اللّه حرم على اليهود طيبات أحلت لهم، وذلك بظلمهم، فقال تعالى: « فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللّه كثيرا» ، وذكر في أول سورة المائدة أنه -سبحانه أحل لنا الطيبات، فقال تعالى: «يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبث ﴾ فقابل بين ما أحل لنا وحرم عليهم



ختمت سورة النساء بآية الكلالة، وورث اللّه تعالى إخوانه وأخواته الأشقاء، وقال في ختامها: «يبين اللّه لكم أن تضلوا ﴾ [النساء: ١٧٦]، فكان البيان بهذا التشريع الذي قسّم به هذا الميراث، وافتتحت سورة المائدة بقوله تعالى: يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعي »، فختم سورة النساء بالتشريع، وافتتح سورة المائدة بالتشريع؛ تتميما لما بدأه في تلك، فناسب ختام تلك

من كتاب البينات في علم المناسبات للشيخ فايز السريح

سورة المائدة

سورة دعوة المؤمنون إلى الوفاء بالعقود التي بينهم وبين اللّه تعالى



الموضوع الأول :
(الآيات: ١-١١)

المقدمة التي تأمر المؤمنين بالوفاء بعقودهم مع اللّه تعالى :

افتتحت السورة بنداء للمؤمنين بأمرهم بالوفاء بالعقود التي ألزمهم اللّه بها: (يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود) .

وبينت بعض أنواع الحلال والحرام من الأطعمة (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم) .

وأمرتهم بحفظ شعائر اللّه وحرمت القتال في الأشهر الحرم، وفصلت في أحكام الوضوء والتيمم، وأمرت بحفظ الشهادات، وهذه كلها بمثابة عقود بينهم وبين خالقهم سبحانه وتعالى، يجب أن يوفوا بها: (واذكروا نعمة اللّه عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا اللّه إن اللّه» .

بيان وجوب المفاصلة العقدية بين المؤمنين الملتزمين بعقودهم مع الله، وبين أهل الكتاب وأهل الجاهلية الناقضين لهذه العقود :



الموضوع الثاني : (الآيات: ١٠٨-١٢)

- بين السياق نقض اليهود لعقودهم مع الله تعالى،فبعدما أخذ الله ميثاقهم وبعث منهم اثني عشر نقيباً، وأمرهم بالصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل، إذا بهم ينقضون ميثاقهم إلى أن استحقوا لعنة الله، وجعل قلوبهم قاسية، وبين أنهم يحرفون الكلم مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به .

- وبين السياق نقض النصارى لعقودهم مع الله تعالى، فهم أيضاً نسوا حظاً مما ذكروا به حتى أغرى الله بينهم العداوة، والبغضاء إلى يوم القيامة . وقد أمر السياق الأمتين المذكورتين باتباع الرسول ﷺ الذي يبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب .

- وبين السياق كفر الذين قالوا إن الله هوالمسيح بن مريم، وبين جهل الأمتين حينما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه .

عرض السياق قصة موسى عليه السلام مع قومه حينما أمرهم بقتال أهل القرية، لكنهم نقضوا العهد وأحجموا في موقع الإقدام .

وفي المقابل عرض السياق قصة بني آدم وهي تعرض إقدام القاتل على القتل في موضع الإحجام .

عقب السياق على القصتين بتحريم القتل بلا سبب على بني إسرائيل الذين كانوا هم أكثر الأمم إقداماً على قتل الأنبياء .

حذر السياق من المنافقين المسارعين إلى الكفر ونقض عقد الإيمان .

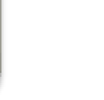
ثم أمر السياق المؤمنين بالوفاء بعقودهم مع الله التي أمرهم بها في القرآن : (وأنزلنا إليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه).

وحذر السياق أكثر من مرة من موالاة اليهود والنصارى بعدما تبين نقضهم لعقودهم مع الله، وأمرهم بالموالاة الحقيقية : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »

أعاد السياق بيان كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم، وبين براءة عيسى من هذه الفرية، وبيّن أنه كان يدعو إلى التوحيد .

ذكر السياق عدداً من الأوامر والنواهي والتوجيهات للأمة الإسلامية آمراً إياهم بحفظها والوفاء بها، فأمر بأكل الحلال من الطيبات وحفظ الأيمان وبين كفارتها، واجتناب عادات الجاهلين؛ فحرم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وحرم صيد البر على المحرم، وعظم من شأن الكعبة وشعائر الله، وأمر بحفظ شهادة الوصية وغلظ على من كتمها أو حرفها .

كل هذه الأوامر والنواهي تعتبر عقوداً بين أمة الإسلام وبين خالقهم سبحانه، ينبغي عليهم الالتزام بها حتى لا يصير حالهم كحال أهل الكتاب أو الجاهليين الذين نقضوا عقودهم مع الله تعالى .







الموضوع الثالث :

(الآيات 109-120)

الخاتمة المؤكدة لما سبق :

عرضت مشهداً أخروياً يبين براءة عيسى وأمه من فرية إشراكهما مع اللّه بالعبادة، وذلك حين نقض النصارى أهم عقد بينهم وبين اللّه، وهو عقد التوحيد، فاتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون اللّه

- عرضت إجابة اللّه لدعاء عيسى عليه السلام أن ينزل مائدة من السماء كما طلب الحواريون وكان نزولها بمثابة عقد بينهم وبينه تعالى على أن لا يعودوا إلى الكفر والشرك: «قال اللّه إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العلمين »

. وقد بين التعقيب على القصة أن النصارى نقضوا هذا العقد وأشركوا عيسى وأمه مع اللّه تعالى بالعبادة .

. وكما افتتحت السورة بأمر المؤمنين بالتزام عقودهم مع اللّه، ختمت ببشارة المؤمنين الصادقين الملتزمين بهذه العقود، وأهمها عـقـد الـتـوحـيـد: «قال اللّه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنت تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ رضي اللّه عنهم ورضوا عنه ذالك الفوز العظيم للّه ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل قدير ».

من كتاب دلالة أسماء السور القرآنية

على محاورها وموضوعاتها للدكتور عمر عرفات



من مواضيع سورة المائده :

العبادات مثل: (6،58،94،95)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)

سورة النِّساء ابتدأت بالنِّداء (يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم) والنِّداء بـ (يا أيُّها النَّاس) أعمُّ وأشمل من النِّداء بـ (يا أيُّها الذِّين آمنوا)، لأنَّ سُورةَ النِّساء وَردت فيها حُقُوق إن صَحَّ أن نُسَّمِيها " **حقوق الإنسان**

أمّا سورة المائدة وردَ فيها **أحكامُ الحَلالِ والحَرام والعقود** التّي لا يَستجيب لها ويَأتمرها إلا من اتَّصف بهذا الوَصف **وهو وصف الايمان** . -دورة الأترجة-

أنت تعيش في مملكة الملك وبينك وبنه عقود عليك الوفاء بها

فكان واجباً على كل من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله ورسوله وتطبيق المنهج الذي نهجه القرءان الكريم وكان لِزامًا لهم أن يوفوا بكل العقود التي عقدها المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الأزمان ولأهمية هذه العقود ووجوب الإيفاء بها فكانت هذه السورة , ومن حق الله علينا أن نوفي بالعقود حيث أن الله قد قدم الكون كله للإنسان بكل أجناسه لخدمة البشرية فوجب علينا بعد قبولنا بكل هذه النعم أن نوفي العقود التي قعدناها إيماناً بخالق النعم ومسخرها لنا فكانت أول الآيات ربط بين الوفاء بالعهود ..وأحل لكم بهيمة الأنعام...

هيّا بنا نبدأ سوياً مع سورة المائد

سورة المائدة (سورة مدنية)، ومنها ما نزل في مكة (بعد حجة الوداع).

الوفاء بالعهود وخمسة عشر نداء من الله

نزلت بعد سورة الفتح، وهي في ترتيب المصحف بعد سورة النساء، وعدد آياتها 120 آية.

إنَّ سورة المائدة هي السورة الوحيدة في القرءان التي تكرّرفيها كثيرا نداء) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ !! (...ففي القرءان كله تكرر88 مرة، منها 16 مرة في سورة المائدة لوحدها. فضلا عن أنها ابتدأت أيضا ب) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ.(...

يقول عبد الله بن مسعود: "إذا سمعت) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ (فارعها سمعك فإنه أمر خير تؤمر به أو شر تنهى عنه". ومعنى) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ (أي يا من آمنتم بالله حقاً، يا من رضيتم بالله رباً، يا من أقررتم بالله معبوداً، اسمعوا وأطيعوا.

هدفها " نداؤها"

أما هدف السورة فهو واضح من أول نداء جاء في السورة) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ (أي أوفوا بعهودكم، لا تنقضوا الميثاق، والعقود تشمل ما عقده الإنسان، من المسؤولية عن الأرض واستخلاف الله للإنسان، إلى أمور الطاعات كالصلاة والحجاب، إلى ترك المحرمات كشرب الخمر وأكل الحرام.

وكما ذكرنا فلم يتكرر نداء) يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ (في أي سورة كما تكرّر في سورة المائدة (16 نداء) فسورة البقرة مثلاً فيها عشرة نداءات مع أنّ عدد آياتها أطول. هذه النداءات تشكل محاور السورة، فكلما يأتي نداء منها ترى بعده محوراً جديداً للسورة فيه تفاصيل الأوامر أو النواهي. 16 أمراً والسورة تنقلنا من أمر إلى آخر، لتأمرنا بالإيفاء بالعقود.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "إنَّ سورة المائدة كانت آخر ما أنزل من القرءان فما وجدتم فيها من حلال فأحلّوه وما وجدتم فيها من حرامٍ فحرِّموه".

ففي السورة نرى آخر آية أحكام في القرءان) :ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلاْسْلاَمَ دِيناً (3) (من التي أنزلت في حجة الوداع.

أظن أن هدف السورة بدأ يظهر. الآن وقد تم الدين، فالتزموا بالعهد مع الله وحافظوا عليه، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه. إنها سورة الحلال والحرام في الإسلام. لذلك جاء في الحديث "علّموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور."

النشر

تبسيط فهم مواضيع سور القرآن

سورة المائدة

رقم 5 — مدنية

الوفاء بالعهود والتزام الشرائع والحدود

من 1 إلى 40 — حفظ الدين والعرض والنفس والمال

- من 1 إلى 6: الوفاء بالعقود وبيان الحلال والحرام والطهارة
- من 7 إلى 11: التذكير بالنعم والمواثيق والأمر بالقسط
- من 12 إلى 19: بعض أحوال أهل الكتاب وتذكيرهم بالرسول والقرآن
- من 20 إلى 26: من مواقف بني إسرائيل مع موسى عليه السلام
- من 27 إلى 31: قصة هابيل وقابيل
- من 32 إلى 34: جزاء القتل والفساد في الأرض
- الآية 35: فضيلة التقرب إلى الله بالعمل الصالح
- من 36 إلى 37: بيان عقاب الكفار يوم القيامة
- من 38 إلى 40: حد السرقة

حكمة مشروعية حد السرقة لردع السارق وتخويف غيره من الوقوع في مثل ما وقع فيه

من 41 إلى 86 — النهي عن موالاة الكفار

- من 41 إلى 43: مواساة النبي ﷺ لما يلقاه من اليهود والمنافقين
- من 44 إلى 50: الكتب السماوية ووجوب الحكم بما أنزل الله
- من 51 إلى 58: تحريم موالاة غير المؤمنين ووجوب موالاة الله ورسوله
- من 59 إلى 76: من قبائح أهل الكتاب وشرك النصارى بالله
- من 77 إلى 86: نهي أهل الكتاب عن الغلو وبيان مقدار عداوتهم

من 87 إلى 108 — من آيات الأحكام

- من 87 إلى 88: النهي عن تحريم ما أحل الله من الأكل الطيب
- الآية 89: حكم اليمين وكفارة الحنث به
- من 90 إلى 100: تحريم الخمر والقمار والصيد في حال الإحرام
- من 101 إلى 105: الرد على أهل الجاهلية وإرشاد المؤمنين
- من 106 إلى 108: الإشهاد على الوصية عند الموت

من 109 إلى 120 — مراجعة العقود يوم القيامة وقصة المائدة

- الآية 109: سؤال الرسل يوم القيامة عن استجابة قومهم
- من 110 إلى 115: معجزات عيسى عليه السلام وقصة المائدة
- من 116 إلى 119: محاورة بين الله تعالى وعيسى وجزاء الصادقين
- الآية 120: من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى

علو منزلة الصدق وبيان نفع الصدق لأهله

افهم آية — Efham.Aya — @Efham_Aya — gplus.to/efhamaya — #افهم_سورة

سورة المائدة
العقود مع الله

- عقد الحلال والحرام من اية ١٩ - ٤٠
- عقد الحاكمية من أية ٤١-٥٠
- عقد الولاء و البراء من أية ٥١-٧٧
- عقد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أية ٧٨-٨٦
- امتداد لأحكام الحلال و الحرام من ٨٨-١٠٨
- خاتمة السورة من أية ١٠٩-١٢٠

و في نهاية كل شوط نجد أيات لأهل الكتاب
(مثال على عدم تطبيق العقود مع الله و بيان عقوبتهم)

drhazemshouman 01023030100



المقطع الأول
عقد الحلال والحرم(1-40)

(1- 8)
العهود والمواثيق مع أمة محمد ﷺ

(9-10)
المواثيق و الجزاء

11
البلاء و صرفه عن المسلمين

(12-16)
ميثاقه مع اليهود والنصارى

(17-19)
فساد عقيدة أهل الكتاب

(20-26)
سوء أدب اليهود

(27-32)
جرائم وعقوبات

(33-34)
عقوبة الحرابة

(35-37)
في التقوى نجاة من النار

(38-40)
حد السرقة



المقطع الأول
عقد الحلال والحرم(1-40)

هذه السورة لها اسم آخر هو سورة العقود . والمقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله تعالى •

وفي أولها عقد الإيمان بالله ، ومعرفة حقيقة الوهيته سبحانه ، ومقتضى العبودية لألوهيته . **هذا العقد الذي تنبثق منه ، وتقوم عليه سائر العقود** ، وسائر الضوابط في الحياة ، ومن ثم فهي تفتتح بنداء للذين آمنوا ، تأمرهم بالوفاء بالعقود . ثم تمضي بعد هذا الافتتاح في بيان الحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمشارب والمناكح ، وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية ، وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة ، وفي بيان حقيقة العبودية وحقيقة الألوهية، وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل ، وفي بيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام الله والشهادة بالقسط ، والحكم فيها بما أنزل الله ، والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله ، والحذر من عدم العدل تأثراً بالمشاعر الشخصية والمودة والشنان . وغير ذلك . .

تفتتح السورة بنداء للذين آمنوا إلى أن يوفوا بالعقود . أي كل ضوابط الحياة التي قررها الله تعالى – ثم يأخذ سياق السورة في **تفصيل بعض هذه العقود أو الضوابط أو الأحكام** . وأولها هنا . بعد عقد الإيمان الذي نادى الله تعالى به المؤمنين ، والذي تقوم عليه سائر العقود الأخرى – هو ما يختص بالتحليل والتحريم في الذبائح ، وفي الأنواع ، وفي الأماكن ، وفي الأوقات

ثم يستأنف نداء الذين آمنوا لينهاهم عن استحلال حرمات الله وشعائره ، ويحذرهم من التأثر بالمشاعر الشخصية والمودة والشنآن في استباحتها ، ويحثهم على التعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان . ويأمرهم بتقوى الله ، ويحذرهم من عقوبته

العهود والمواثيق مع أمة محمد ﷺ: (1 - 8)

1-نداء وتنبيه، أمر ونهي، تحليل وتحريم، إطلاق وتقييد، تعميم واستثناء، ثناء وخبر

1	*وكلما زاد إيمان المؤمن زادَ وفائه بالعُقُود، وزاد إيمانه واستجابته لما في هذه الآية ، ولذلك إذا رأيت أحداً يُخِلُّ بالعقد فاعلم أنَّ صِفة الإيمان فيه ناقصة،وإذا رأيت أحداً يَفي بعقده ويحرص عليه فإنَّ هذا من كمال إيمانه. *أسْوَأ حالِ المُخالِفِينَ حالُ مَن غَضِبَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ ولَعَنَهُ؛ وأنَّ ذَلِك بِبَغْيِهِمْ؛ وعَداوَتِهِمْ؛ ونَقْضِهِمُ العُهُودَ؛ ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهم لَعَنّاهُمْ﴾ [المائدة:١٣]؛ وكانَ النَّقْضُ كُلَّ مُخالَفَةٍ؛ قالَ اللَّهُ (تَعالى) - لِعِبادِهِ المُؤْمِنِينَ -: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أوْفُوا بِالعُقُودِ﴾؛ **لِأنَّ اليَهُودَ والنَّصارى إنَّما أتى عَلَيْهِمْ مِن عَدَمِ الوَفاءِ؛ ونَقْضِ العُهُودِ؛ فَحَذَّرَ المُؤْمِنِينَ.** –البقاعي- *ولَمّا كانُوا رُبَّما فَهِمُوا مِن هَذا الإحْلالِ ما ألِفُوا مِنَ المِيتاتِ ونَحْوِها؛ قالَ - مُسْتَثْنِيًا مِن نَفْسِ البَهِيمَةِ؛ وهي في الأصْلِ كُلُّ حَيٍّ لا يُمَيِّزُ؛ مُخْبِرًا أنَّ مِن أعْظَمِ العُقُودِ ما قُدِّمَ تَحْرِيمُهُ مِن ذَلِكَ في "البَقَرَة" -: ﴿إلا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ -البقاعي-
2	**أنَّ الله تعالى لَمَّا حرَّم الصيدَ على المحرِم في الآيةِ الأولى، أكَّدَ ذلك بالنهيِ في هذه الآيةِ عن مخالفَةِ تكاليفِ اللّه تعالى.**- الرازي-

أما الآية الثانية فقد تضمنت أحكاما بعضها نُسخ العمل به وبعضها محكم يعمل به إلى يوم الدين المحكم والواجب العمل به تحريم شعائر الله وهي أعلام دينه من سائر ما فرض وأوجب، ونهى وحرم. فلا تستحل بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة. ومن المنسوخ الشهر الحرام فإن القتال كان محرماً في الأشهر الحرم ثم نسخ بقول الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، ومن المنسوخ أيضاً هدي المشركين وقلائدهم والمشركون أنفسهم فلا يسمح لهم بدخول الحرم ولا يقبل منهم هدى، ولا يجيرهم من القتل تقليد أنفسهم بلحاء شجر الحرم ولو تقلدوا شجر الحرم كله. هذا معنى قوله تعالى ﴿يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لا تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ ولا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرامَ ولا ٱلْهَدْيَ ولا ٱلْقَلاۤئِدَ ولاۤ آمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورِضْوَاناً﴾ والمراد بالفضل الرزق بالتجارة في الحج، والمراد بالرضوان ما كان المشركون يطلبونه بحجهم من رضى الله ليبارك لهم في أرزاقهم ويحفظهم في حياتهم. –الجزائري-

سُورَةُ المَائِدَةِ — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾

١ →(٢)→ ٢

الأمـرُ بالوفـاءِ بـالعقودِ والعهـودِ، وحِلُّ بهيمةِ الأنعامِ إلا مـا اسـتُثنـي (في الآيـة ٣)، وتحـريمُ الصيدِ للمحرِمِ، ثُمَّ النَّهيُ عـن اسـتحلالِ حرمـاتِ اللهِ والتي منها مناسكُ الحجِّ.

حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ — ١٠٦

١٧٦- ﴿ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾: من مات وليس له ولد، ولا والد، ٢- ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾: لا تنتهكوا، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: لا يحملنكم، ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بغض.

(١٧٦) ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ كلُّ حكمٍ خالفَ حكمَ اللهِ فهو ضلالٌ وإن استحسنه الناسُ.

(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ والمؤمنُ يسلِّم بالأحكامِ الشرعيةِ ولا يعارضُها بعقلِه.

(٢) ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ ...﴾ اعملِ اليومَ بهذه الآيةِ وتعاونْ مع مؤسسةٍ لمساعدةِ الفقراءِ والمحتاجين.

١٧٦: النساء [١٢٧]، ١: الحج [٣٠]، ٢: المائدة [٨].

مصحف الحفظ الميسر

افتتح الله تعالى هذه السورة بجملة عهود، أخذها على أمة محمد ﷺ وألزمهم العمل بها، وتشمل: تحليل الأنعام كلها، وتحريم التعدي على شعائر الله ومحارمه، وحرم من الأنعام الميتة وغيرها، وأحل الطيبات عموماً، وما أمسكت الجوارح بعد التسمية عند إرسالها، وأحل الطعام تبادلاً بين الملل الثلاث، وأحل للمسلم الزواج بالعفيفة، المسلمة والكتابية، شرط الإحصان، ودوام العشرة، وبين اكتمال الدين، ويأس الكفار من هزيمة المسلمين، وبين الطهارة بأنواعها،وأمر بالعدل. بعد أن أحل لنا بهيمة الأنعام في أول السورة، واستثنى (إلا ما يتلى عليكم) جاء الآن **بما استثنى محرماً مفصلاً** فقال: {حرمت عليكم الميتة والدم ...}

ما العلاقة بين الأمر بالوفاء بالعقود في قوله "يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" وبين قوله "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمةُ الْأَنْعامِ"؟

قليلٌ من يُشير إلى هذا المعنى وهو دقيق، والسُّورة تكاد تدور عليه وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى جَعَلَ توسيع دائرة التَّحليل لهذه الأُمَّة مَربُوطاً ومَرهوناً بوفائها بالعقود فكلما كانت أوفى بالعقد، وأحرص على الوفاء به، بقدر مايُوسِّع الله سبحانه وتعالى دائرة الحلال ودائرة المُباح لها، وبنو إسرائيل لأنّهم كانوا أهل نقضٍ للميثاق وللعَقد ،ضيَّق الله عليهم في دائرة الحلال، لذلك قال الله :"قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴿١٤٥﴾ سورة الأنعام.

أمَّا أهل الكتاب فقد حَرَّمَ الله عليهم في قوله "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ سورة الأنعام.

فضيَّق الله على بني إسرائيل بنقضِهم للميثاق، ووسَّع الله على هذه الأمّة دائرةَ المباح لوفائها بالعقد،وفي هذا إشارة أيُّها الأخوة إلى وجوبُ الالتزام بالعَقد والعَهد حتى تكمُل النّعمة التّي ذكرها الله في قوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ ، بكمال الاستجابة والانقياد لله سبحانه تعالى.

ولذلك لاحظوُا سورة البقرة وهي أطول من سورة المائدة، سورة المائدة عدد آياتها عشرين ومائة (120) آية، بينما عدد آيات سورة البقرة ستٌّ وثمانون ومائتين (286) آية ورد في سورة البقرة النّداء (يا أيُّها الذّين آمنوا) عشر(10) مرات، بينما في سُورة المَائدة ستة عشر(16)مرة.

لاحظوا سورة البقرة كيف تَدُور على بني اسرائيل، وتلكُّأهِم في الاستجابةِ لأوامر الله حين أمرهم مُوسى عليه الصّلاة والسَّلام بذبح البقرة قالوا" ما لونُها..."الى آخره لكن لاحظوا في أواخر سورة البقرة عندما ذكر الله صِفَةَ المؤمنين الصّادقين كيف استجابوا لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله :

"آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ثم جاء التَّخفيف فقال الله : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

فلاحظوُا دائرة التَّوسيع على هذه الأمة وذلك لكمال الانقياد و لكمال الاستجابة لله عزَّوجل.

ولذلك حتى الرُّخَص التى يُرَخِصُها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، رخَصَّها لنا فى السَّفر، وفي المَرض، لكمال الانقياد، والاستجابة لأَمرالله سبحانه وتعالى. فوسَّع الله على هذه الأمة،وأمَّا بنو إسرائيل فلشِّدة تلكُّإهم، وتكذيبهم، وعِصيانهم ضيَّق الله عليهم دائرة الحلال، وأكْثَرعليهم من المُحرَّمات بقوله (حرَّمنا عليهم) حتَّى في هذه السُّورة عندما أمرهم الله بِدُخُول بيت المقدس تلكَّأُوا فقال "فإنَّها محرمةٌ عليهم"فعاقبهم بتحريم ما أحلَّه الله سبحانه وتعالى لِغيرهم من الأُمم جزاءَ تكذيبهم وعصيانهم. -عبد الرحمن الشهري-

"إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ" هذا الخِتَام أيُّها الأُخوة فيه تقريرٌ لمسألة وهى أنَّ الله سبحانه وتعالى هو المُتَفرِدُ بالتَّحليل والتَّحريم ولايَملكُ أحدٌ أن يُحلّل أو يُحرِّم إلا الله سبحانه وتعالى،وهذه السُّورة سُورة المائدة هي في الحَلال والحرام ولذلك بدأها بهذه الآية)إنّ الله يحكُمُ ما يُريد (ولِذَلك الذّي يُكثِر من الأسئلة يقول لماذا حَرَّم الله كذا؟ ولماذا حَلَّل الله كذا؟حتى تَضعُف عنده دَواعِي الاستجابة،نقول له نحن نُحرِّم ماحَرَّم الله، ونُحِلّ ما أحَلَّ الله، ولذلك ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة)ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا (ما الفَرق؟ فلم يَرُدَّ عليهم ببيان الفرق بينهما، بل قال سبحانه)وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (لأنَّه هو الذّي يَملكُ هذا الحَقّ.

*النَّبى صلى الله عليه وسلم عِندما جَاءَ في الحُديبية،أراد هووأصحابه رضي الله عنهم أن يعتمروا فمَنَعَهم المشركون، فلما نزلت سورة المائدة بعد ذلك وجاء النّبي صلى الله عليه وسلم للحَجّ -لأنَّ هذه السُّورة (سورة المائدة (نزلت قبل حَجَّة الوداع أوقبل الحجّ، وبعد صلح الحديبية رُبَّما فى السَّنة التاسعة إلى أوَّل العاشرة –فالله يقول وينهى المؤمنين)ولايَجرِمَنَّكم (بُغضُ المشركين لأنَّهم صَدُّوكم عن المسجد الحرام فلا يحملكم ذلك على أن تعتدوا في فِعل أوفي قول.

*يَنبغي علينا أن نكون أهلَ قسط، وَأهلَ عَدلٍ، ولايحمِلُكَ كُرهُ أَحَد، أو بُغضِه أوأيّ شيء حَصَل بينك وبينه لأيّ سَبب من الأَسباب، أن تَظلِمَه.

*يقول أبو مَيسَرة رضي الله عنه وهُوَ من التَّابعين الفُقَهَاء" اشتملت سورة المائدة على ثمانية عشر (18)فريضة ليست فى غيرها "سُورةُ المائدة فيها ثمانيةَ عَشَر حُكماً، والقرطبي أضاف الحكم التاسع عشر (19)ليست إلاّ فى سورة المائدة .

قرآنًا عجبًا

الجزء السادس — سورة المائدة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

٣←(١)←٣

لمّا استثنى (في الآية ١) بعض ما أحلّ من بهيمة الأنعام ذكر هنا الصّور المستثناة وهي عشرة من الأطعمة المحرّمة، ثمّ بيان أنّ الإسلام هو الدِّين الذي ارتضاه الله لنا.

(وَلَحْمُ الْخِنْزِير)أيّ مُحرَّمٌ عليكم لحم الخنزير مع أنَّ المحرم كُلُّ الخنزير لحمُه، وشحمُه، ودمُه وكلُّ شيءٍ فيه،لكنَّ الله ذكر لحم الخنزير لأنَّه أبرز ما يُؤكل منه، وإلا فشحمُه مُحرَّم كذلك .

3	*هذا الذي حولنا الله عليه في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرّم ما يحرّم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد لا يبين.-السعدي- *لمَّا قال تعالى في أوَّل السُّورة: **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ثم ذكر فيه استثناءَ أشياءَ تُتلَى عليهم** في قَوْلِه: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ- **ذَكَر هنا تلك الصُّورَ المستثناةَ من ذلك العمومِ** -الرازي-

*وعَكس الدَّم المَسفوح، الذِّي بَقي في العُرُوق من الدَّم، فإنَّ الله تعالى أباحه لأنَّ استخراج كل الدَّم من الذَّبيحة فيه مَشقة.ولكن عندما تُطبَخ الذَّبيحة فيزول الدّم،فالمقصود بقوله)والدَّم (هذا الدّم المَسفوح وليس كُلُّ دم .

*فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

أنظروا إلى توسيع الله سبحانه وتعالى على المسلمين؛ أيّ نحنُ قررنا عليكم المُحرَّمات وبيَّنا لكم الحلال والحرام،ولكن إذا أُضطر أحدُكم إلى أن يأكل من هذه المحرّمات لشدةٍ، أو حاجةٍ، أو مرض أو نحو ذلك ، فلا إثم عليه.

قال الله)فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ (والمَخمصة هي الشّدةُ والحَاجة) ,غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ(أي لا يُريد بذلك المَيل إلى الحَرَام، والحرص عليه)فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (انظروا إلى كَمَال سعة رحمة الله بهذه الأمة.

*الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (وهذه الآية آيةٌ عظيمة فَطِنَ أحدُ اليهود

فقال :لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم -وهذا يَدُلُّ على أنَّهم يقرؤون -لو عَلينا معشر يهودٍ نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال :وما هي؟

قال) :الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (

فقال عمر :والله إنِّي لأَعلم أينَ نَزلت، ومتى نَزلت، وفي أي يومٍ نَزلت، قال لقد نزلت على النَّبي صلى الله عليه وسلم يوم الجُمُعة في عَرَفة ونحن في حَجَّة الوداع.

فهذه الآية العَظيمة فيها شَرفٌ لهذه الأُمَّة وفيها تشريف لهذا الدِّين، ولكلِّ أتباعه بأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أكمل علينا هذا الدِّين،و أتمَّ علينا هذه النِّعمة بأن وفَّقنا لاتباعه وَوفقنا سبحانه وتعالى لِبَيان هذا الحق .



٤ ← (٢) ← ٥

لَمَّا ذكَر (في الآية ٣) ما حرَّمه من المطعوماتِ ذكرَ هنا ما أحلَّه: الطيباتُ، وصيدُ الجوارحِ المُعلَّمةِ وذبائحُ أهلِ الكتابِ، ثُمَّ بَيَّنَ إباحةَ الزواجِ من نساءِ أهلِ الكتابِ.

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

١٠٧

٣- ﴿الْمَيْتَةُ﴾: الحيوانُ الذي ماتَ حتفَ أنفهِ بدونِ ذَكاةٍ. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي: التي حُبِسَ نفسُها حتى ماتت. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: هي: التي ضُربت بعصا أو حجرٍ حتى ماتت. ٤- ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعلِّمينَ لها الصيدَ.

(٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ...﴾ ادرس باب الأطعمة من أحد كتب الفقه لتتعلَّم ما يُباح وما يحرم.

(٣) ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ دليلٌ على حرمة الابتداع في الدين.

(٤) ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ لا يُباح إلا صيدُ الكلبِ المُعلَّم، فانظر حتى الكلاب تتمايزُ بالعلم. ٥: النساء [٢٤، ٢٥].

4	لَمَّا ذكرَ تعالى **ما حرَّمه** في الآيةِ المتقدِّمةِ من الخبائثِ الضارَّةِ لِمُتناولِها- إمَّا في بدَنِه، أو في دِينه، أو فيهما- واستثنى ما استَثْناه في حالةِ الضرورةِ - شرَعَ في بيانِ **ما أحلَّه لهم** -الشوكاني- *بعد أن ذكر لهم ما حرم عليهم من المطعومات في الآيات السابقة: الميتة والدم ولحم الخنزير. سألوا النبي ﷺ ماذا أحل لهم فجاء الجواب من الله تعالى: (قل أحل لكم الطيبات). **ثـم يذكرهـم بتقوى الله ويذكرهم بالدقة في تصرفاتهم** حتى لا يأكلوا مما أمسك الجارح لنفسه وأكل، مستحلين لما أكل الجارح وان كان فيها أكل وترك بقية من حياة فلا يحل. ويذكرهم بأن عقاب الله سريع لمن يعصى. اليوم مكررة مرة بعد مرة لما لها من وقع طيب، وتعظيم لهذا اليوم الذي يكتمل فيه الدين يكتمل فيه التبيين. كل هذا الذي قال الله تعالى في تحريم المأكولات وتحليلها، وما أباح من صيد وما حرم وما أباح من طعام وزواج من أهل الكتاب قبول هذا كله من الإيمان، فمن أحل ما أحل الله وحرم ما حرم الله وقبل به فهو الإيمان الكامل المحض، ومن لم يقبله وكفربه فقد فارق الإيمان فلا إيمان. وقد حبط عمله... والجزاء في الآخرة هو الخسران المبين... الذي يقود صاحبه إلى النار. يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ (والخِطَاب هنا للنَّبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا إشارة إلى عناية الصَّحابة رضي الله عنهم بالحَلال والحَرام، أسئلةٌ محدودة، وكُلُّها أسئلة عملية يترتب عليها عمل،وهناك سؤال مثلاً في القرآن الكريم لا يترتب عليه عمل ولكنَّ الجَواب جَاءَ بما يُوجَّه إلى العَمل فقال الله سبحانه وتعالى هنا)يسألونك عن الأهلة(فالمُتبادرللذِّهن أنَّ الجواب: قل هي نجومٌ تظهر في السماء وتختفي أو نحو ذلك،ولكن الجواب جاءَ بخلاف ذلك فقال الله)يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيتُ للنَّاس والحَجّ(فوجَّه الجواب إلى ما ينفعُهُم، أيّ أنت ماذا ينفعك إذا عرفت أنَّ الأهِلة هي أجرامٌ، أو كواكبٌ، أو أنّها تعكسُ الضَّوء أو لا تعكس الضَّوء، فهذا لا ينفعُك في دينك، لكنَّ الذِّي ينفعُكَ أن تعلم أنَّ هذه الأهلة هي مواقيت تَستدل بها على أوقات العبادات، أمَّا بقيةُ الأسئلة فهي أسئلةٌ يَترتَّبُ عليها عمل، بخلاف أسئلة بني إسرائيل فإنَّهم كانوا يُكثرون من الأسئلة التي لا يترتب عليها عمل. سمَّاها الله سبحانه وتعالى جوارح لأنها تَكسِب لصاحبها قال)ويعلم ما جَرحتم بالنَّهار(أي ما كسبتم فالجَارح هو الكاسِب . -عبد الرحمن الشهري-
5	***كرر تعالى إحلال الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره**، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.-السعدي- ***لمَّا أخبَرَ اللّه تعالى في الآيَةِ المتقدِّمةِ أنَّه أحلَّ الطيِّباتِ**، وكان المقصودُ من ذِكره الإخبارَعن هذا الحُكم، **ثم أعاد ذِكرَه في هذه الآيةِ**، والغرَضُ من ذِكره أنَّه قال: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فبَيَّن أنَّه كما أكملَ الدِّين و أتَمَّ النِّعمةَ في كلِّ ما يَتعلَّق بالدِّين، فكذلك أتمَّ النِّعمةَ في كلِّ ما يتعلَّق بالدُّنيا .-الرازي- *و أيضًا **لمَّا كان أهلُ الكتابِ في الأصل أهلَ توحيدٍ، ثم سَرَتْ إليهم نزَغاتُ الشِّركِ ممَّن دخَل في دِينهم من المشركين، ولم يُشدِّدوا في الفصلِ بينهم وبين ماضيهم، وكان هذا مَظنَّةَ التشديدِ في مُؤاكلةِ أهلِ الكتابِ ومُناكَحتِهم، كما شدَّد في أكْلِ ذَبائحِ مشركي العربِ ونِكاحِ نسائِهم- بيَّن اللّه في هذه الآيةِ ألَّا نُعامِلَ أهلَ الكتابِ معاملةَ المشركينَ في ذلك، فأحلَّ لنا مؤاكلتَهم، ونِكاحَ نسائِهم** ، فقال: الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ -المنار-

6	*بعد أن ذكر الله تعالى حاجات الجسد، انتقل الآن إلى حاجات الرُّوح هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة...منها ......أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم. – السعدي- *الآن بعد المطعومات والمنكوحات يأتي دور العبادات وأولها الصلاة لأنها دليل الإيمان الذي وقر في القلب وصدقه العمل وهو الصلاة. والتي قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)-التفسير الموضوعي- *لَمّا افتتَح اللهُ تعالى السُّورةَ بالأمرِ بإيفاءِ العهودِ، وذكَر تحليلًا وتحريمًا في المطعَمِ والمنكَحِ، واستقصَى ذلك، وكان النوعانِ معاملاتٍ دُنيويَّةً بين النَّاس بعضِهم من بعضٍ، استطرَد منها إلى المعاملاتِ الأُخرويَّة التي هي بين العبدِ وربِّه سبحانه وتعالى، **ولَمّا كان أفضلُ الطاعاتِ بعد الإيمانِ الصَّلاةَ، والصلاةُ لا تُمكن إلَّا بالطَّهارةِ، بدأَ بالطَّهارة .** *وأيضًا قد افتتَحَ الله سبحانه السورةَ بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ؛ **والعهد نوعان: عهدُ الربوبيَّةِ من اللَّه، وعهد العبوديَّة من العباد**، فقدَّم الوفاءَ بعهد الربوبيَّة والكَرَم، ولَمَّا كانت منافعُ الدُّنيا محصورةً في نوعينِ: **لذَّات المطعم، ولذات المنكَح**، فاستقصى سبحانَه في بيان ما يَحِلُّ ويَحرُم من المطاعِمِ والمناكِحِ، **ولَمّا كانت الحاجةُ إلى المطعومِ فوقَ الحاجَةِ إلى المنكوحِ، لا جرَم قدَّمَ بيانَ المطعوم على المنكوح**، وعندَ تمامِ البيان كأنَّه يقول: قد وفيتُ بعهدِ الربوبيَّة فيما يُطلَب في الدُّنيا من المنافعِ واللذَّات، فاشتغِلْ أنت في الدُّنيا بالوفاءِ بعهدِ العبوديَّة، فلمَّا كان أعظمُ الطَّاعاتِ بعد الإيمان الصلاةَ، ولا يمكن إقامتُها إلَّا بالطَّهارة لا جرَم بدأ الله تعالى بذِكر شرائطِ الوضوء . *وأيضًا لَمَّا ذكَرما يتعلَّق **بالمطعم والمنكَح، وكان الحَدَثان (الأصغر والأكبر)** اللَّذان هما سببُ الطَّهارتين هما أثَرُ الطَّعامِ والنِّكاحِ، فلولا الطعامُ لَمَا كان الغائطُ الموجِبُ للوضوء، ولولا النكاحُ لَمَا كانت ملامسةُ النِّساءِ الموجِبة للغُسل ؛ لذا قال سبحانه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ. -المحرر في التفسير-

قرأناعجبا

الجزء السادس — سورة المائدة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦

٦←(١)→٦

بعدَ أن بَيَّن اللهُ لعبادِه مـا أحـلَّ لهـم مـن المطاعـم والمناكح، ذكـر أوَّلَ مـا يجب عليهم بعدَ التوحيد وهـو الصـلاةُ، والصلاةُ لا تصحُّ إلا بالطهارة: الوضوء والغسل والتيمم.

ينتقل القرآن الكريم إلى عهود الطهارة بأنواعها الثلاثة: الوضوء والجنابة والتيمم.
بعد عهود الحلال والحرام في المطعومات و أنواعها ووسائل صيدها والمنكوحات.
هذه هي الطهارة – ما فرضها الله تعالى على عباده ليشق عليهم ويضيق، ولكنها رحمة ونظافة وطهارة تحمي الإنسان من القذرووساوس الشيطان وتبيح التعبد ومس المصحف ودخول المساجد والصلاة على الأموات والنفل وغيرها، تماماً للنعمة وهي نعمة الإسلام المذكورة وفضل الله الذي (يحب المتطهرين)
ثم **لعلكم تشكرون** الله تعالى هذا الاهتمام نظافة وقربي ورفعة بهذا الدين وهذا التشريع .



7	***يأمر تعالى عباده بذكر نعمه الدينية والدنيوية**، بقلوبهم وألسنتهم. فإن في استدامة ذكرها داعيا لشكر الله تعالى ومحبته، وامتلاء القلب من إحسانه. وفيه زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه. و ﴿مِيثَاقه﴾ أي: واذكروا ميثاقه ﴿الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ أي: عهده الذي أخذه عليكم. وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، و إنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهما، ولهذا قال: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان و انقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة. وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أُمِرُوا به كاملا غيرناقص. -السعدي- *لَمَّا **ذكَر التَّكاليفَ** في الآياتِ السَّابِقةِ من بدايةِ السُّورةِ، **أَرْدَفَه بما يُوجِبُ عليهم القَبولَ والانقيادَ**. وذلك من وجهينِ: الأوَّلُ: كَثرةُ نِعَمِ الله عليهم؛ لأنَّ كثرةَ النِّعَمِ تُوجِبَ على المُنعَمِ عليه الاشتغالَ بخدمةِ المُنعِمِ، والانقيادَ لأوامِرِه ونواهيه. والوجه الثاني: في السَّببِ الموجِبِ للانقيادِ للتَّكاليفِ، وهو الميثاقُ الذي و اثقكم به.
8	أنَّ اللهَ تعالى **لَمَّا حَثَّ على الانقيادِ للتَّكاليفِ**، وهي مع كَثْرتِها محصورةٌ في نوعينِ: **التَّعظيم لأمْرِ اللّه**، وهذا ذَكَرَه في قوله: إذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللهَ، **ثم أعْقَبَه بذِكْرِ النَّوعِ الثَّاني** وهو **الشَّفقَةُ على خَلْقِ اللّه**. –المحرر-

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

٧←(٣)→٩
لَمَّا ذَكَرَ التَّكاليفَ أتبَعَه هنا بما يُوجِبُ القَبولَ والانقيادَ، فالنِّعَمُ تُوجِبُ الانقيادَ للمنعم وكذا الميثاقُ، ثُمَّ الأمرُ بالعدلِ حتى مَعَ المخالفينَ ومن نُبغِضُ، ثُمَّ جزاءُ المؤمنينَ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

٦- ﴿جُنُبًا﴾: على جنابة، ﴿لَامَسْتُمُ﴾: جامعتم، ﴿صَعِيدًا﴾: ما على وجه الأرض، من تُراب ونحوه، ﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا،
٨- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم، ﴿شَنَآنُ﴾: بُغض.
(٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما تخفيه في نفسك ولو كان (خاطرة) أو (فكرة) الله يعلمها.
(٨) ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ نحن نظلم من نحبُّ، فكيف سنعدل مع من لا نحبُّ؟!
٦: النساء [٤٣]، ٦: الحج [٧٨]، النحل [٨١]، ٨: النساء [١٣٥]، المائدة [٢]، ٩: الفتح [٢٩].



المواثيق والجزاء: (9-10)

هذه هي العهود بدءاً من فاتحة السورة و انتهاء بالقوامة بالشهادة
والآن جاء الحديث **عمن أوفى بهذه العهود فيها جزاؤه؟ ومن خالف فها جزاؤه.** ويذكر الله تعالى المؤمنين بنعمة من نعمه ذات وقع خاص و أثر، قريب الحدوث عند نزول سورة المائدة، حدث له دلالة، واطلاع الله تعالى عليه وهو صرف البلاء عنهم.

وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

١٠٨

٧←(٣)←٩
لَمَّا ذكَرَ التَّكاليفَ أتبَعَه هنا بما يُوجِبُ القَبولَ والانقيادَ، فالنِّعَمُ تُوجِبُ الانقيادَ للمنعم وكذا الميثاقُ، ثُمَّ الأمرُ بالعدلِ حتى معَ المخالفينَ ومن نُبْغِضُ، ثُمَّ جزاءُ المؤمنينَ.

٦- ﴿جُنُبًا﴾: على جنابة، ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: جامعتُم، ﴿صَعِيدًا﴾: ما على وجه الأرض، من تراب ونحوه، ﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا.
٨- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم، ﴿شَنَآنُ﴾: بغض.
(٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما تخفيه في نفسك ولو كان (خاطرة) أو (فكرة) الله يعلمها.
(٨) ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ نحن نظلم من نحبُّ، فكيف سنعدل مع من لا نحبُّ؟!
٦: النساء [٤٣]، ٦: الحج [٧٨]، النحل [٨١]، ٨: النساء [١٣٥]، المائدة [٢]، ٩: الفتح [٢٩].

9	**أنَّ اللّهِ تعالى لَمَّا ذكَرَ أوامِرَ ونواهِيَ، ذكَر وعْدَه مَن اتَّبعَ أوامِرَه واجتَنَبَ نواهيَه .** و أيضا لَمَّا كان الأَمْرُ **بالتَّقْوى** ممَّا حُتِمَ على الإطلاقِ، بعدَ بيانِ أنَّ **العَدْلَ** هو أقربُ ما يُتَّقَى به عقابُ اللهِ في الدُّنيا والآخِرَة؛ لأنَّه قِوامُ الصَّلاحِ للأفرادِ، والإصلاحِ في الأقوامِ، ولَمَّا **عُلِّل هذا الأمرُ المطلَقُ بأنَّ اللّه خبيرٌ بدقائِقِ الأعمالِ وخَفاياها، وكان هذا التعليلُ يُشيرُ إلى جزاءِ العاملينَ** المُتَّقينَ وغَيْرِ المتَّقينَ- قال عزَّوجلَّ في **بيانِ الجزاءِ العامِّ.** –المحرر-
10	*لَمَّا ذكَرَاللهُ تعالى **ثوابَ المؤمنينَ** العاملينَ للصَّالحاتِ، ثنَّى **بذِكر مَن يُقابِلُهم** وما لهم من العقابِ -المحرر-



الجزء السادس — سورة المائدة ٥

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ

١٠ ← (٢) ← ١١

بعدَ ذكرِ جزاءِ المؤمنينَ ذكرَ هنا جزاءَ الكافرينَ، ثُمَّ التذكيرُ بإنعامِه على المؤمنينَ بكفِّ أيدِي أعدائِهم عنهم.

البلاء وصرفه عن المسلمين :

هذه هي عهود الله ومواثيقه مع أمة محمد ﷺ والقرآن ينقلنا إلى الأمم السابقة ويرينا مواثيقه معها وموقفها من المواثيق والجزاء الذي نالته على ذلك. بعد الحديث عن العهود مع أمة محمد ﷺ وجزاء من التزم ومن خالف يمضي القرآن ليرينا مواثيق الله مع أمتي اليهود والنصارى، وجزاء نقضهم المواثيق.

11	* **بعد الحديث عن نعمة الإسلام وإكمالها، وغيرها من النعم، كالصيد الذي أباحه للناس، ونعمة الطهارة يمضي القرآن ليبين نعمة أخرى وهي نجاة النبي ﷺ من محاولة اغتياله**، فحياته * نعمة من نعم الله حفظها بفضله، وهو القائل: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءايته، ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ") [آل عمران: ١٦٤]. –الموضوعي- *لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى **إنعامَه عليهم بكفِّ أَيدِي أعدائِهم عنهم**، وردِّ كَيْدِهم في نُحورِهم- **أَمَرَهم بما يَستعينونَ به على الانْتِصارِ على عَدُوِّهم، وعلى جميعِ أُمورِهم** ، فقال: وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. –المحرر- *يُذَكِّر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان، وأنهم -كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمةً - فليعدوا أيضا إنعامه عليهم بكف أيديهم عنهم، ورد كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء، قد هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه. فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من هَمَّ بالمؤمنين بشر، من كافرومنافق وباغ، كف الله شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية. ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصارعلى عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾-السعدي-



الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

١٠٩

١٢←(٢)←١٣

لمَّا ذكرَ اللهُ ميثاقَ المؤمنينَ (في الآية ٧) حينَ بايعُوا النبيَّ ﷺ على السمعِ والطاعةِ أتبعَه هنا ميثاقُ بني إسرائيلَ وما كانَ من نقضِهم له وعقابِهم على ذلك في الدُّنيا والآخرةِ، ليتَّعظَ المسلمونَ بمن تقدَّمَهم من الأممِ.

١١- ﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ﴾: يبطشوا بكم، ١٢- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: بسبب نقضهم، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: لا تتعظ بموعظة لغلظها.

(١١) ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن ... فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ كم من خطرٍ أحدق بك حرسك الله منه وأنت غافل.

(١٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ كن محسنًا مع الجميع، وإن لم تلق إحسانًا منهم، فالأمرُ ليس لهم بقدرِ ما هو لك، وهو نيلُ محبةِ الله.

١٠: المائدة [٨٦]، ١٠: الحديد [١٩]، ١١: الأحزاب [٩]، ١٢: المائدة [٧٠]، النور [٥٥]، ١٣: النساء [١٥٥].

	12
*يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به. –السعدي- *لما أمَرَ اللّهُ تعالى عِبادَه المؤمنينَ بالوَفاءِ بعَهْدِه وميثاقِه، الذي أخَذَه عليهم على لِسانِ عَبْدِه ورسوله محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، وأمَرَهم بالقيامِ بالحقِّ والشَّهادَةِ بالعَدْلِ، وذكَّرَهم نِعمَه عليهم الظَّاهِرةَ والباطِنَةَ، فيما هداهم له من الحقِّ والهُدى؛ شرَعَ يُبيِّنُ لهم كيف أخَذَ العُهودَ والمواثيقَ على مَن كان قَبلَهم مِن أَهلِ الكِتابينِ: اليهودِ والنَّصارى . *في هذه الآيَةِ (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) ناسَبَ ذِكْرُ ميثاقِ بني إسرائيلَ عَقِبَ ذِكْرِ ميثاقِ المسلمينَ مِنْ قَوْلِه: وَمِيثاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ؛ تحذيرًا من أنْ يكونَ ميثاقُ المسلمينَ كميثاقِهم، ولكي يؤدِّيَ المسلمونَ مِن جانبِهم ما استُحْفِظُوا عليه، ويتَّقُوا أن يَنقُضُوا ميثاقَهم معه.-المحرر-	12

ميثاقه مع اليهود والنصاري: (12 – 16)

جاء هذا القول من الله تتميا لما ذكره تعالى في سورة آخر سورة النساء و أنزل عقوبات على بني إسرائيل بسبب جرائم ارتكبوها عددها الحق عزوجل فبلغت **إحدى عشرة جريمة**، قال: (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا , وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما , وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا)

بنود الميثاق كما يلي:

إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل، وتعزيرهم وهو تقويتهم بالتأييد والنصرة، و إقراضهم الله قرضاً حسناً كناية عن البذل في سبيل الله والإنفاق على المساكين كل ذلك إقراض لله فمن التزم هذه البنود الخمسة فالجزاء؛ الكفارة لكل ذنوبهم ومحوها لهم، وأن يدخلهم الجنة الموصوفة أنها تجري من تحتها الأنهار. أما من كفرولم يؤمن فقد ضل عن الصراط السوي المستقيم فما اهتدى، والعاقبة هي النار. والله تعالى يخبرنا أن بني إسرائيل لم يؤمنوا ولم يلتزموا بتلك المواثيق بعد إبرامها وعرضها عليهم ومو افقتهم عليها وقبولها. فكان العقاب .

(فيما نقضهم ميثاقهم) (لعنهم) و (وجعلنا قلوبهم قاسية) (يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم وأصفح إن الله يحب المحسنين) [المائدة: الآية 13].

ولا يزال بنو إسرائيل تظهر منهم الخيانة بين الحين والحين نقضاً للمواثيق وتحريفاً للكلم عن مواضعه وتحيتهم للنبي ﷺ بغير ما حياه الله بها يقولون (السام عليك) يعنون الموت (وراعنا) ليا بألسنتهم حتى تأتي الكلمة (راعنا) المعنى بها انظرنا إلى (راعن) التي أحمق... في إساءة للنبي ﷺ.

فالتوجيه للنبي ﷺ إزاء هذا (فاعف عنهم وأصفح إن الله يحب المحسنين).

أعدائِهم عنهم.

١٢←(٢)→١٣

لمَّا ذكرَ اللهُ ميثاقَ المؤمنينَ (في الآيةِ ٧) حينَ بايعُوا النَّبيَّ ﷺ على السمعِ والطاعةِ أتبعَه هنا ميثاقُ بني إسرائيلَ وما كانَ من نقضِهم له وعقابِهم على ذلك في الدُّنيا والآخرةِ، ليتَّعظَ المسلمونَ بمن تقدَّمَهم من الأممِ.

ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١ ۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٢ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣

١٠٩

١١- ﴿يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ﴾: يبطشوا بكم. ١٢- ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾: بسبب نقضهم. ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾: لا تتعظ بموعظة لغلظها.

(١١) ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن ... فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ كم من خطرٍ أحدق بك حرسك الله منه وأنت غافل.

(١٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ كن محسنًا مع الجميع، وإن لم تلق إحسانًا منهم، فالأمر ليس لهم بقدر ما هو لك، وهو نيل محبة الله.

١٠: المائدة [٨٦]، ١٠: الحديد [١٩]، ١١: الأحزاب [٩]، ١٢: المائدة [٧٠]، النور [٥٥]، ١٣: النساء [١٥٥].

13

***لما ذكر الميثاق ذكر موقفهم منه.**

ولَمّا ذَكَرَ - سُبْحانَهُ - **ما أُخِذَ عَلى اليَهُودِ مِنَ المِيثاقِ**؛ ووَعِيدِهِ لَهم إنْ كَفَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ؛ ذَكَرَ أنَّهم **نَقَضُوا** مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. -البقاعي-

- **ولَمّا ذَكَرَ - سُبْحانَهُ - ما يَفْعَلُونَهُ في حَقِّهِ في كَلامِهِ؛ الَّذِي هو صِفَتُهُ؛ أتْبَعَهُ ما يَعُمُّ حَقَّهُ وحَقَّ نَبِيِّهِ** ﷺ عَلى وجْهٍ مُعْلِمٍ أنَّ الخِيانَةَ دَيْدَنُهُمْ؛ تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ فَقالَ: ﴿ولا تَزالُ﴾. -البقاعي-
- *ولَمّا كانَ العَفْوُ لا يَمْنَعُ المُعاتَبَةَ قالَ: ﴿واصْفَحْ﴾؛ أيْ: وأعْرِضْ عَنْ ذَلِكَ أصْلًا؛ ورَأْسًا؛ فَلا تُعاتِبْهم عَلَيْهِ؛ كَما لَمْ تُعاقِبْهُمْ؛ فَإنَّ ذَلِكَ إحْسانٌ مِنكَ؛ وإذا أحْسَنْتَ أحَبَّكَ اللَّهُ؛ ﴿إنَّ اللَّهَ﴾؛ أيْ: الَّذِي لَهُ جَمِيعُ صِفاتِ الكَمالِ؛ ﴿يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾. –البقاعي-

*﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات: الأولى: أنا ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ أي: طردناهم و أبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم. الثانية: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى، والخير إلا شرا. الثالثة: أنهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراده الله ولا رسوله. الرابعة: أنهم ﴿نسوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل **لنسيان علمه**، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم. وشامل **لنسيان العمل** الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه. الخامسة: الخيانة المستمرة

14	*أي: وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾. –السعدي- *ولَمّا دَخَلَ النَّصارى فِيما مَضى؛ لِأنَّهم مِن بَنِي إسْرائِيلَ؛ خَصَّهم بِالذِّكْرِ؛ لِأنَّ كُفْرَهم أشَدُّ وأسْمَجُ. –البقاعي- *ولَمّا أدّى ذَلِكَ إلى تَشَعُّبِهِمْ فِرَقًا؛ فَأنْتَجَ تَشاحُنَهُمْ؛ وتَقاطُعَهُمْ؛ وتَدابُرَهُمْ؛ سَبَّبَ عَنْهُ قَوْلَهُ: ﴿فَأغْرَيْنا﴾؛ أيْ: ألْصَقْنا بِعَظَمَتِنا؛ إلْصاقَ ما هو بِالغِراءِ؛ لا يَنْفَكُّ؛ بَلْ يَصِيرُ كَجُزْءِ الشَّيْءِ؛ ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أيْ: النَّصارى؛ بَعْدَ أنْ جَعَلْناهم فِرَقًا مُتَبايِنِينَ؛ بِتَفْرِيقِ الدِّينِ؛ وكَذا بَيْنَهم وبَيْنَ اليَهُودِ؛ ﴿العَداوَةَ﴾؛ ولَمّا كانَتِ العَداوَةُ قَدْ تَكُونُ عَنْ بَغْيٍ؛ ونَحْوِهِ؛ إذا زالَ زالَتْ؛ أوْ خَفَّتْ؛ قالَ مُعْلِمًا أنَّها لِأمْرٍ باطِنِيٍّ؛ نَشَأ مِن تَزْيِينِ الهَوى؛ فَهو ثابِتٌ غَيْرُ مُنْفَكٍّ؛ ﴿والبَغْضاءَ﴾؛ بِالأهْواءِ المُخْتَلِفَةِ؛ ﴿إلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾ -البقاعي-
15	*لما ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم، أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيرا مما يُخْفُون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول ﷺ بهذا القرآن العظيم الذي بيَّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أُمّيّ لا يقرأ ولا يكتب - من أدل الدلائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو ذلك.-السعدي- *لَمّا ذَكَرَ اللَّهُ تعالى عَنِ اليَهُودِ والنَّصارى نَقْضَ العَهْدِ دَعاهم بعد ذلك إلى الإيمانِ بِمُحمَّدٍ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.—ابن عادل- ولَمّا عُلِمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ أحْوالُ الفَرِيقَيْنِ؛ أقْبَلَ عَلَيْهِمْ واعِظًا؛ مُنادِيًا؛ مُتَلَطِّفًا؛ مُرَغِّبًا؛ مُرَهِّبًا؛ فَقالَ: ﴿يا أهْلَ الكِتابِ﴾. –البقاعي-
16	*ثم ذكر من الذي يهتدي بهذا القرآن ، وما هو السبب الذي من العبد لحصول ذلك .-السعدي- *(يهدى به الله) راجع إلى الكتاب أو إليه وإلى النور لكونهما كالشيء الواحد (من اتبع رضوانه) أي ما رضيه وهو دين الإسلام (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام المنزهة عن كل آفة، وقيل المراد بالسلام الإسلام. -القنوجي-

(قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين) سماه الله نوراً، لأنه يكشف ظلمة ما أشركتم وظلمة كذبكم، وظلمة ما أخفيتم وظلمة ما ادعيتم أنكم أبناء الله ومعه كتاب واضح العبارة والدلالة والأحكام، هذا الكتاب المبين ان اتبعتموه يهديكم به الله إلى صراطه المستقيم، السبيل الآمن من العذاب، ومن غضب الله، المفضي إلى جنته ورضوانه، ويخرجكم هذا الكتاب مع هذا النبي من الظلمات، ظلمة الشرك وظلمة الكفر المتمثلة في عبادتكم لعيسى عليه السلام وعزير والعجل، وإهمالكم لكتب الله وتحريفها، يخرجكم إلى ساحة الإسلام وهدى الله

الجزء السادس — سورة المائدة ٥

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾

١٤ ←(١)→ ١٤
بعد ذكر ميثاق المؤمنين وميثاق اليهود، ذكر هنا ميثاق النصارى ونسيانهم له وجزاء ذلك.

١٥ ←(٢)→ ١٦
لمّا حكى عن اليهود وعن النصارى نقضهم المواثيق والعهود وتركهم ما أُمروا به، دعاهم عقب ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ.

والعهود مع النصارى أخذت في عهد عيسى عليه السلام، فقد أخبرهم بمجيء نبي من بعده اسمه أحمد حتى يكونوا على علم فإن جاء عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه:

فنسوا ما جاء هم به رسولهم وأهملوه، **وجاء الجزاء على ذلك التمزيق لهم... فهم مختلفون في أمر عيسى الله.**

فبعضهم يقول: هو الله، وبعضهم يقول: هو ابن الله جل وعلا،

وبعضهم يقول: ثالث ثلاثة، وبعضهم يقول: أنه عبد الله ورسوله. **وتبعاً لهذا الاختلاف عقيدة اختلفوا فيه عبادة**.. وأصبح كل فريق يبغض الآخر ويخالفه، تماماً كما قال: تعالى: فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)

فمزقهم وأشاع بينهم العداوة والبغضاء ولن تنفك ولن تنتهي هذه العداوة إلى يوم القيامة، **جزاء نقضهم الميثاق.**

15-والآن بعد التفصيل في أمر بني إسرائيل يهوداً ونصارى، **خاطبهم مجتمعين وشملهم** بقوله: (ياأهل الكتب).

نداء لأهل الكتاب من يهود ونصارى وإعلان، أن الله تعالى بعث هذا الرسول الكريم وزوده الله بعلم ما أخفى اليهود والنصارى من علوم ومعارف بينها الله تعالى وأخفوهما هم... فهو يعلمها وسيكشفها لهم، فمما أخفوه:

١ - حكم رجم الزاني المحصن.

٢ – وصف هذا النبي الكريم في كتبهم، حتى لا يتبعه عامة بني إسرائيل.

3 – نفى أن يكونوا هم أبناء الله وأحباؤه.

4 – ما قالوه في عيسى عليه السلام وأمه وما تآمروا به لقتله.



فساد عقيدة أهل الكتاب: (17 - 19)

ولأن هذه السورة نزلت كما ورد آخر أيام النبي ﷺ، وهو في طريقه إلى حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة وهو عام الوفود والذي قدم فيه وفد نصارى نجران لا ليؤمن ولكن ليقول للنبي ﷺ: إن عيسى إله، أو ثالث ثلاثة. أو هو ابن الله ... والله جل وعلا أنزل على نبيه ﷺ آيات تبين حقيقة عيسى منذ بدء الخليقة إلى أن رفعه الله.

قال تعالى هنا - لتلك المناسبة ولذلك الوفد: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، والحديث عن عيسى عليه السلام في هذه السورة يبدأ في ثلاث حلقات، هذه هي:

الحلقة الأولى: والتي يكفر الله تعالى من قال أن عيسى هو ا الله .

الحلقة الثانية: في هذه السورة هي الآية (٧٢) التي يقول الله فيها: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) ويقول عيسى نفسه عليه السلام داعياً بني إسرائيل إلى عبادة الله ربه وربكم ويبين أن من أشرك بالله غيره فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

الحلقة الثالثة :في آخر السورة. مقرراً عيسى بنعمه عليه وعلى والدته أمام الخلق أجمعين ثم يسأله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟



﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١٧←(١)→١٧

لمَّا بيَّنَ نقضَ اليهودِ والنَّصارى للمواثيقِ ودعوتَهم للإيمانِ ذَكَرَ أقوالَهم الشَّنيعةَ، فذكَرَ هنا قولَ النَّصارى وردَّ عليهم.

١١٠ — وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ

١٤- ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: فألقينا، ١٦- ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طُرُق الأمن والسَّلامة.

(١٤) ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ... الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ تُصبح حاقدين بقدر ما تترك من الشريعة.

(١٦) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من أراد الهداية فليتبع ما يُرضي الله.

(١٧) ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إن شاء من أب وأم كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم كحواء، وإن شاء من أم بلا أب كعيسى، وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم.

١٣: النساء [١٥٥]، ١٥: المائدة [١٩]، ١٧: المائدة [٧٢]، الفتح [١١]، الشورى [٤٩].

17	***لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم الشنيعة**. فذكر قول النصارى، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولد من غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره، خُلِقَت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟ فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة. فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة –السعدي-

والله تعالى بقول لنبيه ليسألهم (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعا)إنهم خلقه وأنه قادر على إهلاكهم ومن في الأرض، فإن أراد ذلك فمن يمنعه؟

(ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) -

السموات بما فيها ملك لله والأرض بما فيها ملك لله وعيسى وأمه في هذا الملك، والله تعالى في ملكه يتصرف كيف يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء فهو على فعل كل شيء قدير. ولهذه القدرة خلق الله عيسى من غير أب، وآدم من غير أب ولا أم.

قرأنا عجبا

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا

١٨←(٢)←١٩

ومن أقوالِ اليهودِ والنَّصارى الشَّنيعةِ أيضًا: نحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبَّاؤُه (كلٌّ عن نفسِه ادعاءً)، والردُّ عليهم: فَلِمَ يُعَذِّبُكُم، ثُمَّ دعوتُهم إلى الإيمانِ بمُحمَّدٍ ﷺ من جديدٍ.

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.

أي: جاءَ يُوضِّحُ لكم الحقَّ، ويُبيِّنُ كلَّ ما تحتاجون إليه من المطالِبِ الإلهيَّةِ، والأحكامِ الشَّرعيَّة، وذلك بعدَ شِدَّةِ حاجةٍ إليه، ومُضِيِّ زمنٍ طويلٍ بين إرسالِ عيسى عليه السَّلام وبَعثةِ محمَّدٍ خيرِ الأنامِ .

عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: **((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بابنِ مريمَ: الأنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ ، وليس بَيني وبينَه نبيٌّ))** .

وعن عِياضِ بنِ حِمارٍ المُجاشعيِّ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال ذاتَ يومٍ في خُطْبَتِه: **((ألَا إنَّ ربِّي أمَرَني أنْ أُعلِّمَكم ما جَهِلتُم ممَّا عَلَّمني يَومِي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُه عبدًا حَلالٌ، و إنِّي خَلقْتُ عِبادي حُنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتْهم الشياطينُ فاجْتالَتْهم عن دِينِهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحللْتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سُلْطانًا، وإنَّ اللهَ نظَرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمَقَتَهم عربَهم وعَجَمَهم، إلَّا بَقايَا من أهلِ الكتابِ، وقال: إنَّما بَعثتُك لأَبتلِيَكَ وَ أبتليَ بك، و أنزلتُ عليكَ كتابًا لا يَغسِلُه الماءُ، تَقرؤُه نائمًا ويَقْظانَ، وإنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسي فيَدَعُوه خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهم كما اسْتَخرَجوكَ، واغْزُهم نُغْزِكَ ، و أَنفِقْ فسنُنفِقُ عليك، و ابعثْ جَيشًا نَبعثْ خَمسةً مِثلَه، وقاتِلْ بمَن أطاعَكَ مَن عَصاكَ...))** الحديث

18

*ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم -السعدي-

***بعد دعوى المسيح هو الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - جاءت مقالة أهل الكتاب أشنع وأفظع**، (نحن أبناؤا الله وأحبوه ، وهو يقول جل وعلا: (أنى يكون له ولد ولم تكن له صحبة) [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى دحضاً لهذه المقالة، وإن كنتم - كا تزعمون أبناءه: (فلم يعذبكم بذنوبكم) [المائدة: ١٨]

***ولَمّا عَمَّ - سُبحانَهُ - في ذِكْرِ فَضائِحِ بَنِي إسْرائِيلَ تارَةً؛ وخَصَّ أُخْرى؛ عَمَّ بِذِكْرِ طامَّةٍ مِن طَوامِّهِمْ؛** حَمَلَهم عَلَيْها العُجْبُ والبَطَرُ بِما أنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ؛ فَقالَ: ﴿وقالَتِ اليَهُودُ والنَّصارى﴾؛ أيْ: كُلُّ طائِفَةٍ قالَتْ ذَلِكَ عَلى حِدَتِها؛ خاصَّةً لِنَفْسِها؛ دُونَ الخَلْقِ أجْمَعِينَ: ﴿نَحْنُ أبْناءُ اللَّهِ﴾؛ أيْ: بِما هو ناظِرٌ إلَيْنا بِهِ مِن جَمِيعِ صِفاتِ الكَمالِ؛ ﴿وأحِبّاؤُهُ﴾؛ أيْ: غَرِيقُونَ في كُلٍّ مِنَ الوَصْفَيْنِ - كَما يَدُلُّ عَلَيْهِ العَطْفُ بِالواوِ-؛ ثُمَّ شَرَعَ يَنْقُضُ هَذِهِ الدَّعْوى نَقْضًا بَعْدَ نَقْضٍ. –البقاعي-

***مَقالٌ آخَرُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهم وبَيْنَ اليَهُودِ** يَدُلُّ عَلى غَباوَتِهِمْ في الكُفْرِ إذْ يَقُولُونَ ما لا يَلِيقُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعالى، ثُمَّ هو مُناقِضٌ لِمَقالاتِهِمُ الأُخْرى. عُطِفَ عَلى المَقالِ المُخْتَصِّ بِالنَّصارى، وهو جُمْلَةُ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ هو المَسِيحُ﴾ [المائدة: ١٧] .-ابن عاشور-

19

***ولَمّا دُحِضَتْ حُجَّتُهُمْ؛ ووَضَحَتْ أُكْذُوبَتُهُمْ؛ اقْتَضى ذَلِكَ الِالتِفاتَ إلى وعْظِهِمْ عَلى وجْهِ الِامْتِنانِ عَلَيْهِمْ؛** وإبْطالِ ما عَساهم يَظُنُّونَهُ حُجَّةً. –البقاعي-

*يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب -بسبب ما من عليهم من كتابه- أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ، ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إلهم على حين ﴿فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ وشدة حاجة إليه. وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، و أنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية والأحكام الشرعية. وقد قطع الله بذلك حجتهم، لئلا يقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ -السعدي-

*كَرَّرَ اللَّهُ مَوْعِظَتَهم ودَعْوَتَهم بَعْدَ أنْ بَيَّنَ لَهم فَسادَ عَقائِدِهِمْ وغُرُورَ أنْفُسِهِمْ بَيانًا لا يَدَعُ لِلْمُنْصِفِ مُتَمَسَّكًا بِتِلْكَ الضَّلالاتِ، كَما وعَظَهم ودَعاهم آنِفًا بِمِثْلِ هَذا عَقِبَ بَيانِ نَقْضِهِمُ المَواثِيقَ. –ابن عاشور-

*ها هو البشير والنذير قد جاء، فلا حجة أن الرسول لم يأت فقد جاء، وهي فرصة ينبغي أن ينتهزها بنو إسرائيل فيؤمنوا لينجوا من عذاب الله. فقد جاءكم الرسول. و انقطعت الحجة فإن آمنتم فقد نجوتم وإلا ، (والله على كل شيء قدير) ، قادر على تعذيبكم بكل وسيلة وطريقة.

(يا أهل الكتاب) فيه توبيخٌ لهم لعدم الاستجابة، لأنَّ معناها أنتم أهل الكتاب، وقرأتم فيه الحقّ، وتعرفونه فلماذا تُكذّبون به وتُنكرونه



سوء أدب اليهود: (20 – 26)

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

٢٠←(٤)←٢٣

لَمّا أبطلَ اللهُ دعاويهم ولم يَزِدْهم ذلك إلا كُفرًا وعنادًا بَيَّنَ هنا ما فعلَهُ أسلافُهم معَ موسى ﷺ لَمّا أمرَهم بدخولِ الأرضِ المقدَّسةِ، تسليةً له ﷺ ليعلمَ أنَّ معاندةَ الرُّسلِ مِن أخلاقِهم الموروثةِ.

20	*لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بقلوبكم وألسنتكم. **فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة.** –السعدي- ***ولمّا ذكَرَ سَعةَ مَمْلَكَتِهِ؛ وتَمامَ عِلْمِهِ؛ وشُمُولَ قُدْرَتِهِ؛ أتْبَعَ ذَلِكَ الدَّلالَةَ عَلَيْهِ بِقِصَّةِ بَنِي إسْرائِيلَ**؛ في اسْتِنْقاذِهِمْ مِن أسْرِ العُبُودِيَّةِ؛ والرِّقِّ؛ وإعْلاءِ شَأْنِهِمْ؛ و إيراثِهِمْ أرْضَ الجَبّارِينَ بَعْدَ إهْلاكِ فِرْعَوْنَ وجُنُودِهِ؛ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمّا تَضَمَّنَتْهُ القِصَّةُ؛ إظْهارًا - بِعَدَمِ رَدِّهِمْ إلى مِصْرَ الَّتِي بادَ أهْلُها - لِتَمامِ القُدْرَةِ؛ وسَعَةِ المُلْكِ؛ ونُفُوذِ الأمْرِ؛ وهي مَعَ ذَلِكَ دالَّةٌ عَلى نَقْضِهِمُ المِيثاقَ؛ وقَساوَتِهِمْ؛ ونَقْضِ ما ادَّعَوْهُ مِن بُنُوَّتِهِمْ؛ ومَحَبَّتِهِمْ؛ وذَلِكَ أنَّها ناطِقَةٌ بِتَعْذِيبِهِمْ؛ وتَفْسِيقِهِمْ؛ وتَبَرُّئِهِمْ مِنَ اللَّهِ؛ ولا شَيْءَ مِن ذَلِكَ فِعْلُ حَبِيبٍ ولا ولَدٍ؛ فَقالَ - عاطِفًا عَلى "نِعْمَةَ"؛ فِي: "واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"؛ تَذْكِيرًا لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِنِعْمَةِ التَّوْثِيقِ لِلسَّمْعِ والطّاعَةِ؛ الَّتِي أباها بَنُو إسْرائِيلَ بَعْدَما رَأوْا مِنَ الآياتِ؛ وبِما كَفَّ عَنْهم عَلى ضَعْفِهِمْ؛ وشَجَّعَ بِهِ قُلُوبَهُمْ؛ وألْزَمَهُمُ الطّاعَةَ؛ وكَرَّهَ إلَيْهِمُ المَعْصِيَةَ بِضِدِّ ما فَعَلَ بِبَنِي إسْرائِيلَ.-البقاعي- *ومُناسَبَةُ مَوْقِعِ هَذِهِ الآياتِ هُنا أنَّ **القِصَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلى تَذْكِيرٍ بِنِعَمِ اللَّهِ تَعالى عَلَيْهِمْ وحَثٌّ عَلى الوَفاءِ بِما عاقَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الطّاعَةِ تَمْهِيدًا لِطَلَبِ امْتِثالِهِمْ.** وقَدَّمَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ أمْرَهُ لِبَنِي إسْرائِيلَ بِحَرْبِ الكَنْعانِيِّينَ بِتَذْكِيرِهِمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِيُهَيِّئَ نُفُوسَهم إلى قَبُولِ هَذا الأمْرِ العَظِيمِ عَلَيْهِمْ ولِيُوثِقَهم بِالنَّصْرِ إنْ قاتَلُوا أعْداءَهم، فَذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وعَدَّ لَهم ثَلاثَ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ. –ابن عاشور- *لمَّا أقام اللهُ تعالى الحُجَجَ على بني إسرائيلَ، و أثبتَ لهم رسالةَ نبيِّه محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ودحَض شُبُهاتِهم، و أبطَلَ دعاويهم، ثمَّ لَمَّا لم يَزِدْهم ذلك كلُّه إلا كُفرًا وعنادًا- **بيَّن اللّهُ تعالى في هذه الآياتِ واقعةً مِن وقائعِ أسلافِهم مع موسَى عليه السلامُ**، وتمرُّدَهم عليه، وعِصيانَهم له، مع تذكيرِه إيَّاهم نِعمَ اللهِ عليهم؛ ليعلمَ الرَّسولُ بهذا أنَّ مكابرةَ الحقِّ ومعاندةَ الرُّسلِ خُلقٌ مِن أخلاقِهم الموروثةِ عن سلفِهم، وأنَّ هؤلاءِ الذين هم بحَضرةِ الرسولِ هم جارُونَ مجرَى أسلافِهم مع موسى عليه السَّلامُ؛ فيكونَ ذلك تسليةً له صلَّى الله عليه وسلم. -المحرر-
21	***ثُمَّ أتْبَعَهُ ما يُقَيِّدُ بِهِ هَذِهِ النِّعَمَ مِنَ الشُّكْرِ؛ بِامْتِثالِ الأمْرِ في جِهادِ الأعْداءِ؛** في سِياقٍ مُؤْذِنٍ بِالنَّصْرِ؛ مُعْلِمٍ بِأنَّهُ نِعْمَةٌ أُخْرى يَجِبُ شُكْرُها؛ فَلِذَلِكَ وصَلَهُ بِما قَبْلَهُ. –البقاعي- *لَمَّا **ذكَّر موسى عليه السَّلامُ بني إسرائيلَ بنِعَمِ اللّهِ تعالى عليهم**، وكان في طيَّاتِ ذلك الحثُّ على الوفاءِ بما عاقَدوا اللهَ عليه من الطَّاعة- **كان هذا كالتَّمهيدِ لطلبِ امتثالِهم للأمرِ الذي تَضمَّنته هذه الآيةُ، بقِتالِ الجبَّارين**؛ ليهيِّئَ نُفوسَهم إلى قَبولِ هذا الأمرِ العَظيمِ عليهم، وليوثِّقَهم بالنَّصرِ إنْ قاتلوا أعداءَهم. –المحرر- *﴿عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم. وآخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتم -بمعصيتكم- من العقاب. –السعدي-

والقرآن ينقلنا إلى اليهود مرة أخرى ليبين بعض فسادهم وسوء أدبهم مع اللّه والرسل الخير وأهل الخير .



22	**فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر اللّه ورسوله**.- السعدي-
23	وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. **لَمّا أمَرَ هذانِ الرجلانِ قومَهما بالأَخْذِ بـالأسبابِ النَّافعةِ، أرْشدَاهُم إلى ألَّا يَعتمِدوا على أنفُسِهم**

٢٠←(٤)←٢٣

لَمَّا أبطَلَ الله دعاويهم ولم يَزِدْهم ذلك إلا كُفرًا وعنادًا بَيَّنَ هنا ما فعلَهُ أسلافُهم معَ موسى ﷺ لَمَّا أمرَهم بدخولِ الأرضِ المقدَّسةِ، تسليةً له ﷺ ليعلمَ أنَّ معاندةَ الرُّسلِ مِن أخلاقِهم الموروثةِ.

وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

٢١ ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهرة، وهي بيت المقدس وما حولها.

(١٨) ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ محبة الله لا تُنال بالادّعاء والتمني، ولكن بالتزام شرعه، وفعل ما يحبه.

(٢٣) ﴿قَالَ رَجُلَانِ ... (أَنْعَمَ) ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ... (غَٰلِبُونَ)﴾ التفاؤل نعمة.

(٢٣) ﴿قَالَ رَجُلَانِ ...﴾ لم يكن لنصح الرجلين أثر في قومهم لكن القرآن خلّد ذكرهم بها، كلماتك لن تضيع.

(٢٣) ﴿ٱدْخُلُوا۟ ...﴾ من خاف من الله حقًا لم يخف من أحد. ١٩: المائدة [١٥]، ٢٠: إبراهيم [٦]، ٢١: آل عمران [١٤٩].



٢٤←(٣)←٢٦

عصيانُ بني إسرائيلَ لأمرِ موسى عليه السلام.

وعقابُ اللهِ لهم بجعلِهم يتيهونَ في الأرضِ أربعينَ سنةً.

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ

24	***ولمّا كانَ هَذا السِّياقُ مُحَرِّكًا لِلنَّفْسِ إلى مَعْرِفَةِ جَوابِهِمْ عَنْهُ؛ أوْرَدَهُ عَلى تَقْدِيرِ سُؤالِ مَن كَأنَّهُ قالَ: إنَّ هَذا لَتَرْغِيبٌ مُشَوِّقٌ؛ وتَرْهِيبٌ مُقْلِقٌ؛ فَما قالُوا في جَوابِهِ؟** فَقالَ: ﴿قالُوا﴾: مُعْرِضِينَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِهِمَمٍ سافِلَةٍ؛ وأحْوالٍ نازِلَةٍ؛ مُخاطِبِينَ لَهُ بِاسْمِهِ؛ جَفاءً؛ وجَلافَةً؛ وقِلَّةَ أدَبٍ. –البقاعي- *فَكَأنَّهُ قِيلَ: لَقَدْ نَصَحا لَهُمْ؛ وبَرّا؛ واجْتَهَدا في إصْلاحِ الدِّينِ والدُّنْيا؛ فَما خَدَعا؛ ولا غَرّا؛ فَما قالُوا؟ فَقِيلَ: لَمْ يَزِدْهم ذَلِكَ إلّا نَفارًا؛ واسْتِضْعافًا لِأنْفُسِهِمْ؛ لِإعْراضِهِمْ عَنِ اللَّهِ. –البقاعي- *فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد ﷺ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ -حين شاورهم في القتال يوم "بدر" مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. -السعدي-
25	*فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء.-السعدي- *لَمَّا عَلِمَ اللهُ تعالى أنَّ موسى عليه السَّلامُ في غايةِ الرَّحمةِ على الخَلْقِ- خُصوصًا قومَه- و أنَّه يَحزَنُ عليهم؛ قال تَعالى (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .) -المحرر-
26	﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أيْ: بِسَبَبِ أقْوالِهِمْ هَذِهِ؛ و أفْعالِهِمْ؛ لا يَدْخُلُها مِمَّنْ قالَ هَذِهِ المَقالَةَ؛ أوْرَضِيَها أحَدٌ



جرائم وعقوبات (27 – 32)

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٨) إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ (٣١)﴾

١١٢

٢٧←(٥)←٣١

بعدَ ذكرِ نقضِ بني إسرائيلَ ميثاقِ ربِّهم وعصيانِ أمرِ رسولِهم بقتالِ الجبَّارينَ تأتي قصَّةُ ابنَي آدمَ (قابيلَ وهابيلَ) كنموذجٍ لنقضِ العهدِ والتمرُّدِ والعصيانِ، وكنموذجٍ للحسدِ الذي جعلَ قابيلَ يقتلُ هابيلَ وصرفَ بني إسرائيلَ عن الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ.

في الآيات السابقة قال الله تعالى لرسوله: (يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) [المائدة: 11] فالله تعالى يقص عليه ما هو أشد و أنكى.

27	مُقَدِّمَةً لِلتَّحْذِيرِ مِن قَتْلِ النَّفْسِ والحِرابَةِ والسَّرِقَةِ، ويُتْبَعُ بِتَحْرِيمِ الخَمْرِوأحكامِ الوَصِيَّةِ وغَيْرِها، ولِيَحْسُنَ التَّخَلُّصُ مِمّا اسْتُطْرِدَ مِنَ الأنْباءِ والقَصَصِ الَّتِي هي مَو اقِعُ عِبْرَةٍ وتُنْظَمَ كُلُّها في جَرائِرِ الغُرُورِ. **والمُناسَبَةُ بَيْنَها وبَيْنَ القِصَّةِ الَّتِي قَبْلَها مُناسَبَةُ تَماثُلٍ ومُناسَبَةُ تَضادٍّ.** فَأمّا التَّماثُلُ فَإنَّ في كِلْتَيْهِما عَدَمَ الرِّضا بِما حَكَمَ اللَّهُ تَعالى: فَإنَّ بَنِي إسْرائِيلَ عَصَوْا أمْرَرَسُولِهِمْ إيّاهم بِالدُّخُولِ إلى الأرْضِ المُقَدَّسَةِ، وأحَدُ ابْنَيْ آدَمَ عَصى حُكْمَ اللَّهِ تَعالى بِعَدَمِ قَبُولِ قُرْبانِهِ لِأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُتَّقِينَ. وفي كِلْتَيْهِما جُرْأةٌ عَلى اللَّهِ بَعْدَ المَعْصِيَةِ؛ فَبَنُو إسْرائِيلَ قالُوا: اذْهَبْ أنْتَ ورَبُّكَ، و ابْنُ آدَمَ قالَ: لَأقْتُلَنَّ الَّذِي تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنهُ. وأمّا التَّضادُّ فَإنَّ في إحْداهُما إقْدامًا مَذْمُومًا مِنِ ابْنِ آدَمَ، وإحْجامًا مَذْمُومًا مِن بَنِي إسْرائِيلَ، وإنَّ في إحْداهُما اتِّفاقَ أخَوَيْنِ هُما مُوسى وأخُوهُ عَلى امْتِثالِ أمْرِاللَّهِ تَعالى، وفي الأُخْرى اخْتِلافُ أخَوَيْنِ بِالصَّلاحِ والفَسادِ.-ابن عاشور- * قال أبو حيَّان: (فتقدَّم قولُه أوائلَ الآيات: إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، وبَعدَه قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وقوله: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ثم قِصَّة محاربة الجبَّارين، وتبيَّن أنَّ عدمَ اتِّباع بني إسرائيل محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما سبَّبه الحسدُ، هذا مع عِلمِهم بصِدقه، وقِصَّة ابنَي آدمَ انطوتْ على مجموعِ هذه الآيات من بَسْط اليَد، ومِن الإخبارِ بالمغيب، ومِن عدمِ الانتفاعِ بالقُرب، ودَعواه مع المعصية، ومِن القتْل، ومن الحسَد
28	*ولَمّا وعَظَهُ بِما يَمْنَعُهُ مِن قَتْلِهِ؛ ويُقْبِلُ بِهِ عَلى خَلاصِ نَفْسِهِ؛ أعْلَمَهُ ثانِيًا أنَّ الخَوْفَ مِنَ اللَّهِ مَنَعَهُ مِن أنْ يُمانِعَهُ عَنْ نَفْسِهِ؛ مُلَيِّنًا لِقَلْبِهِ بِما هو جَدِيرٌأنْ يَرُدَّهُ عَنْهُ؛ خَشْيَةَ أنْ تَجُرَّهُ المُمانَعَةُ إلى تَعَدِّي الحَدِّ المَأْذُونِ فِيهِ؛ لِأنَّ أخاهُ كانَ عاصِيًا؛ لا مُشْرِكًا. –البقاعي-

*قالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ الظُلم مَانعٌ من الفَهم لأنَّه قد ظلم أخَاه واعتدى عليه فلم يَهدِه الله تعالى إلى كيفية دفن أخيه

*يُستفادُ مِن قولِه: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا أنَّ الله سُبحانه تعالى يُيسِّرُللإنسانِ إذا ضاقتْ به الأرضُ ما لم يطرأْ له على بالٍ؛ فإنَّ هذا الرَّجُلَ ضاقتْ عليه الأرضُ؛ ماذا يَصنَعُ بأخيه الذي قتَلَه؟ إلى أن بعَث اللهُ هذا الغراب

27-•القِصص القرآنيَّة موردٌ ثَرٌّمملوء بالعِظات والعِبَر، فالاستقاء من مَعينها لبثِّ الموعظة الحسنة بين الناس من وسائل الدعوة إلى الحقّ.

•الحاسدُ إذا لم يُطفئ نارَ حسده بخوف اللّه والرضا بقَسمه، فلربَّما استعرَت به نارُه، حتى يعدوَ على المحسود ليُهلكَه.

•ليس معيارُقبول الأعمال القيامَ بها، و إنما إتقانُها وخلوص النية فيها، ورجاءُ الله عليها، فقد تتَّفق الأعمال فيُقبَل بعضٌ ويُردُّ آخر.

•رُوِي عن عليِّ رضي الله عنه قولُه: (كونوا لقَبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عزَّوجلَّ يقول: {إنما يتقبَّلُ اللَّهُ من المُتَّقِين}؟).

•قال ابنُ عمررضي الله عنهما: (لو علمتُ أن الله تقبَّل منّي سجدةً واحدة، أو صدقة درهمٍ، لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت: {إنما يتقبَّلُ اللهُ من المتَّقِين})

الحاسد معترض على تقسيم الملك للرزق في مملكته (معترض على أحكام اللّه)

30	*ولَمّا كانَ هَذا الوَعْظُ جَدِيرًا بِأنْ يَكُونَ سَبَبًا لِطاعَتِهِ؛ وزاجِرًا لَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ بَيَّنَ (تَعالى) أنَّهُ قَسا قَلْبُهُ؛ فَجَعَلَهُ سَبَبًا لِإقْدامِهِ؛ فَقالَ - مُبَيِّنًا بِصِيغَةِ التَّفْعِيلِ؛ إذِ القَتْلُ لِما جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الحُرْمَةِ؛ وكَساهُ مِنَ الهَيْبَةِ لا يُقْدِمُ عَلَيْهِ إلّا بِمُعالَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّفْسِ -: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ﴾؛ أيْ: الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنهُ؛ ﴿نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيهِ﴾؛ أيْ: فَعالَجَتْهُ مُعالَجَةً كَبِيرَةً؛ وشَجَّعَتْهُ؛ وسَهَّلَتْ لَهُ بِما عِنْدَها مِنَ النَّفاسَةِ؛ عَلى زَعْمِها؛ حَتّى غَلَبَتْ عَلى عَقْلِهِ؛ فانْطاعَ لَها؛ و انْقادَ؛ فَأقْدَمَ عَلَيْهِ. -البقاعي- *فلم يرتدع ذلك الجاني ولم يتزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. "ومن سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة". ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه "ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من سن القتل". فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم. -السعدي-
31	*ولَمّا كانَ التَّقْدِيرُ: "ثُمَّ إنَّهُ لَمْ يَدْرِ ما يَصْنَعُ بِهِ؛ إذْ كانَ أوَّلَ مَيِّتٍ؛ فَلَمْ يَكُنِ الدَّفْنُ مَعْرُوفًا"؛ سَبَّبَ عَنْهُ قَوْلَهُ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾؛ أيْ: الَّذِي لَهُ كَمالُ القُدْرَةِ؛ والعَظَمَةِ؛ والحِكْمَةِ. -البقاعي- *أيْ فَألْهَمَ اللَّهُ غرابًا يَنْزِلُ بِحَيْثُ يَراهُ قابِيلُ. وكَأنَّ اخْتِيارَ الغُرابِ لِهَذا العَمَلِ إمّا لِأنَّ الدَّفْنَ حِيلَةٌ في الغِرْبانِ مِن قَبْلُ، وإمّا لِأنَّ اللَّهَ اخْتارَهُ لِذَلِكَ لِمُناسَبَةِ ما يَعْتَرِي النّاظِرَ إلى سَوادِ لَوْنِهِ مِنَ الِانْقِباضِ بِما لِلْأسِيفِ الخاسِرِ مِنِ انْقِباضِ النَّفْسِ. -ابن عاشور-



٢٧←(٥)←٣١

بعدَ ذكرِ نقضِ بني إسرائيلَ ميثاقِ ربِّهم وعصيانِ أمرِ رسولِهم بقتالِ الجبّارينَ تأتي قصّةُ ابني آدمَ (قابيلَ وهابيلَ) كنموذجٍ لنقضِ العهدِ والتمرُّدِ والعصيانِ، وكنموذجٍ للحسدِ الذي جعلَ قابيلَ يقتلُ هابيلَ وصرفَ بني إسرائيلَ عن الإيمانِ بالنَّبي ﷺ.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا

١١٢

٢٦- ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تحزن. ٢٨- ﴿بَسَطْتَ﴾: مددت. ٢٩- ﴿تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾: ترجع بإثم قتلي.
٣١- ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: يحفر فيها حفرة.

(٢٧) ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ قبول الأعمال الصالحة منّة من الله.
(٣١) ﴿غُرَابًا ... لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾ تعلّم من الجميع، تعلّم ممن حولك، ليس شرطًا أن تتعلم من أستاذك فقط.
(٣٠، ٣١) الحاسد لا ينال من حسده إلا الخسارة والندامة، تأمل: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

قال إنَّما يَتقبَّلُ اللهُ المُتَّقِين (أنت الآن تقتُلُني لماذا؟ لأنَّ الله تقبّل مِنّي؟ هل هذا ذنبٌ بالنسبة لي؟ بل هذا ليس ذنباً .

كما قال الشّاعر :إذا مَحاسنِي اللاَّئي أُدِلُّ بها ..كَانت ذُنُوبِي فَقُلْ لي كيف أعتذِرُ

أيّ أنت الآن تَعيبُنِي بِمَحاسِنِي .فكان عيبُه عند أخيه أنَّ الله تقبّل منه

الجزء السادس — سورة المائدة ٥

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

١١٣

٣٢←(٣)←٣٤
بعدَ ذكرِ قَتْلِ قابيلَ أخاه بَيَّنَ اللهُ هنا تغليظَ إثمِ قَتْلِ النَّفسِ بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرضِ، ثُمَّ أتبعَه ببيانِ الفسادِ الذي يُوجِبُ القتلَ وهو قطعُ الطريقِ (حدُّ الحرابة)، وقُطَّاعُ الطَّرِيقِ: هم الذينَ يَعْتَرِضُونَ النَّاسَ بِالسلاحِ جَهْرًا وَيأخذُونَ أموالَهم.

٣٥←(٢)←٣٦
لمَّا ذَكَرَ جزاءَ مَن حارَبَ اللهَ أمَرَ هنا بتقواه والتوسُّلَ والتقرُّبَ إليه بالعملِ الصالحِ، أما الكفَّارُ فلا تنفعُهم وسيلةٌ.

٣٣- ﴿يُصَلَّبُوٓا۟﴾: يشدُّوا على خشبة، ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: قطعَ اليدِ اليمنى والرجلِ اليسرى، ٣٥- ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القُربة.
(٣٢) ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ تأمَّلْ قدرَ نفسِك عند ربِّك!
(٣٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟...﴾ تذكَّرْ كبيرةً فعلتَها لم تتبْ منها الآن وأكثِرْ الاستغفار؛ فحدُّ الحرابةِ يسقُطُ لمن تابَ قبلَ القدرةِ عليه، فكيف بمن هو دونَه؟!
(٣٥) ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ اسألِ اللهَ أن يجعلَك من المجاهدين في سبيلِه، سواء بنفسِك، أو بمالِك، أو بعلمِك. ٣٦ الرعد [١٨]، الزُّمَر [٤٧].



32	**ولمَّا عُلِمَ بهذا أنَّ الإنسانَ مَوْضِعُ العجَلَةِ والإقْدامِ عَلى الموبقاتِ؛ مِن غَيْرِ تَأمُّلٍ؛ فَكانَ أحْوَجَ شَيْءٍ إلى نَصْبِ الزَّواجِرِ**؛ أتْبَعَهُ (تَعالى) قَوْلَهُ: ﴿مِن أجْلِ ذَلِكَ﴾. -البقاعي-
33	**لمَّا ذَكَرَ اللّه في الآيةِ الأُولى تغليظَ الإثمِ في قَتْلِ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ،، أتْبعَه ببيانِ الفسادِ الذي يُوجِبُ القتلَ**؛ فإنَّ بعضَ ما يكون فسادًا في الأرضِ لا يُوجِبُ القتلَ. –المحرر-
34	**ولمَّا كانَ التَّعْبِيرُ بِـ "إنَّما"؛ يَدُلُّ بِحَتْمِ الجَزاءِ عَلى هَذا الوَجْهِ؛ اسْتَثْنى مِنَ المعاقَبِينَ هَذِهِ العُقُوبَةَ.** –البقاعي-

33- عقوبة الحرابة:

والآية سميت آية الحرابة، وهي تعني الحديث عن قطاع الطرق، وقطاع الطرق إنما يتصيدون ضحاياهم في الأماكن البعيدة المعزولة عن الناس، وعن الغوث لمن استغاث. فلذا روى ابن عباس: أن قطاع الطرق، إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإن قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا. وإن أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض .
فكان هذا حكم الحرابة ... وهو ما عليه جمهور المسلمين الآن وهو جزاء موافق يناسب الجرم المرتكب، وهذه واحدة من الحدود التي أوجب الله العمل بها. وهي آية محكمة واجبة الأداء.



٣٥←(٢)→٣٦

لمَّا ذَكَرَ جزاءَ مَن حارَبَ اللهَ أمَرَ هنا بتَقواه والتوسُّلَ والتقرُّبَ إليه بالعملِ الصالحِ، أما الكفَّارُ فلا تنفعُهم وسيلةٌ.

٣٣- ﴿يُصَلَّبُوٓاْ﴾: يشدُّوا على خشبة، ﴿مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: قطعَ اليد اليمنى والرجلِ اليسرى، ٣٥- ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القُربة.

(٣٢) ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ تأمَّل قدرَ نفسِك عند ربك!

(٣٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ...﴾ تذكَّر كبيرةً فعلتها ثم تُب منها الآن وأكثِر الاستغفار؛ فحدُّ المحاربة يسقُط لمن تاب قبل القدرة عليه، فكيف بمن هو دونه؟!

(٣٥) ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ اسأل الله أن يجعلك من المجاهدين في سبيله، سواء بنفسك، أو بمالك، أو بعلمك. ٣٦ الرعد [١٨]، الزُّمَر [٤٧].



في التقوى نجاة من النار: 37-35

بعد الحديث عن الحرابة جاءت الآية تأمر بتقوى الله، وترك ما نهى عنه وحرم، وفي التقوى الفلاح ويرزق الله العبد التقي من حيث لا يحتسب ويجعل له من كل ضيق مخرجا، ويجعل له من أمره يسرا وهو معه بالتأييد والنصرة والمؤازرة، ويأمرنا أن نتخذ الوسيلة لمرضاته فالدعاء وسيلة، والسؤال بأسمائه الحسنى وسيلة، والتقرب إليه بأحب الأعمال الصالحة الخالصة إليه وسيلة، والتقوى وسيلة، فابتغوا إليه الوسيلة لتصلوا إلى غاياتكم، وجاهدوا في سبيله بالمال والنفس والكلمة الصالحة وتبيين الحق والوقوف في وجه الباطل.

35	**خاطَبَ المؤمنِينَ بالتَّرغِيبِ بَعْدَ أنْ حَذَّرَهم مِنَ المفاسِدِ.** –ابن عاشور- *هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يَسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه.-السعدي- ***لمَّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى جزاءَ مَن حارَبَ اللّهِ ورسولَه، وسعى في الأرضِ فسادًا من العقوباتِ الأربعِ، والعذابِ العظيمِ المعدِّ لهم في الآخِرةِ- أمَرَ المؤمنينَ بتقوى اللّهِ**، و ابتغاءِ القُرباتِ إليه؛ فإنَّ ذلك هو المُنجي من المحاربةِ، والعِقابِ المعَدِّ للمحارِبِينَ. –المحرر-
36	***لمَّا أمَرَ اللّهُ تبارَك وتعالَى عِبادَه المؤمنينَ أنْ يَتَّقوا اللّهَ، ويَبتغوا إليه الوسيلةَ، ويُجاهدوا في سَبيلِه، وبَيَّنَ عاقبةَ هذا بأنَّه الفلاحُ- بَيَّن عاقبةَ مَن لم يَقُمْ بذلك من الكفَّارِ.** –المحرر- ***ولَمَّا كانَ تَرْكُ هَذِهِ الأوْصافِ الثَّلاثَةِ: التَّقْوى؛ وطَلَبِ الوَسِيلَةِ؛ والجِهادِ؛ مُزِيلًا لِلْوَصْفِ الأوَّلِ؛ وهو الإيمانُ؛ ناسَبَ كُلَّ المُناسَبَةِ - تَحْذِيرًا مِن تَرْكِها - ذِكْرُ حالِ الكُفّارِ**؛ و أنَّهُ لا تَنْفَعُهم وسِيلَةٌ في تِلْكَ الدّارِ؛ فَقالَ - مُعَلِّلًا لِما قَبْلَهُ -: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أيْ: بِتَرْكِ ما في الآيَةِ السّابِقَةِ؛ ورَتَّبَ الجَزاءَ عَلى الماضِي؛ زِيادَةً في التَّحْذِيرِ.-البقاعي-
36 37,	يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائم الذي لا يخرجون منه أبدا، بل هم ماكثون فيه سرمدا.-السعدي- ***ثُمَّ عَلَّلَ شِدَّةَ إيلامِهِ بِدَوامِهِ.** –البقاعي-

37•ما أعظمَ تشريعَ الإسلام! شرَعَ قَطعَ وسيلة السرقة التي تساوي نصفَ دية صاحبها؛ حفظًا لأموال الناس، فإذا علم باغي الحرام بهذا المصير كفَّ يدَه عن العدوان.

حد السرقة

بعد حد الحرابة الآن يأخذ في حد السرقة.

والآية ترد على المعارضين لحكم الله، والذين يثيرون الشبهات حول أحكام الله، والذين يرون في قطع السارق والسارقة عملاً لا إنسانياً كما كتبت بعض الصحف والأقلام

الجزء السادس — سورة المائدة

٤٠←(٤)→٣٧

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

لَمَّا أوجب في الصفحة السابقة قطع الأيدي والأرجل عند أخذ المال في قطع الطريق أو الحرابة بيَّن هنا أنَّ أخذ المال في السرقة يُوجب قطع الأيدي أيضا.

تطبيق مصحف التدبر

38•العقوبة على قدر الذنب عدلٌ، ورحمةُ المعتدي بإسقاط عقوبته جَور، ولا تصلُح حياةُ الناس إلا بالعدل والإنصاف.

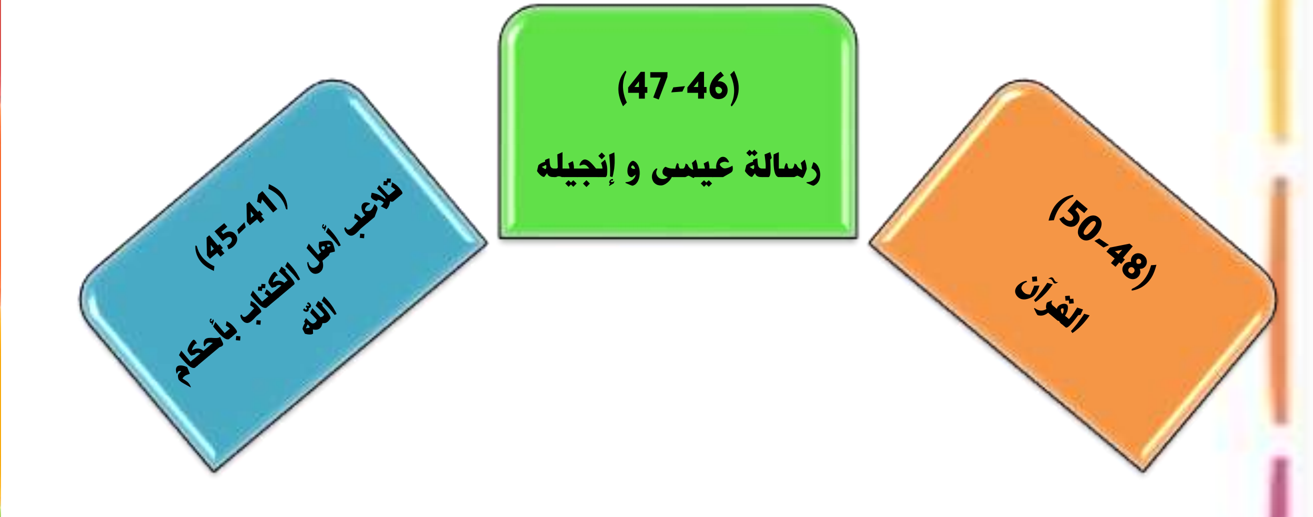
39-•باب التوبة مفتوح، فمَن أصلحَ بعد الفساد، وكفَّ يدَه عن حقوق العباد، ومدَّها إلى الله مستغفرًا منيبًا، فقد ولجَ روضةَ رحمةِ الله وغُفرانه، وليُبشر هناك بعطاء المَلِك الكريم.

40-•لله تعالى أن يشرَعَ ما يشاء من العقاب، ويذيقَ مَن يشاء أليمَ العذاب، ويقبلَ توبة مَن رجَع إليه وتاب، ولا عجبَ في ذلك؛ فإن لله مُلكَ السماوات والأرض.

•كمَلَ ملكُ ربِّنا وكمَلَت قدرتُه، ففرض الفرائض وحدَّ الحدود، وليس للعباد إلا الاستجابةُ لحكمه، والانقيادُ لشرعه؛ لأنهم ملكٌ من ملكه، وهو قادرٌ على مؤاخذة من حادَ عن نهجه الذي شرَع.



38	**في مناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها وجهان:** الأوَّل: أنَّه تعالى لَمَّا أوجبَ في قوله: أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ قَطْعَ الأيدي والأَرْجُلِ عند أخْذِ المالِ على سَبيلِ المحارَبةِ؛ بَيَّن في هذه الآيةِ أنَّ أخْذَ المالِ على سبيلِ السَّرِقةِ يُوجِبُ قَطعَ الأيدي فقط، وجاءتِ السُّنَّةُ بقَطعِ الأَرجُلِ أيضًا في السَّرِقةِ ؛ إذِ السَّرقةُ أيضًا حِرابةٌ من حيثُ المعنى؛ لأنَّ فيها سعيًا بالفسَادِ إلَّا أنَّ تِلك تكونُ على سبيلِ الشَّوْكةِ والظُّهور . الثاني: أنَّه تعالى لَمَّا ذكر تعظيمَ أمْرِ القتْلِ في قوله: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا؛ ذكر بعدَ هذا الجناياتِ التي تُبيحُ القَتْلَ والإيلامَ، فذكر أولًا: قطْعَ الطَّريق، وثانيًا: أمْرَ السَّرِقةِ. -المحرر- *ولَمَّا كانَتِ السَّرِقَةُ مِن جُمْلَةِ المُحارَبَةِ؛ والسَّعْيِ بِالفَسادِ؛ وكانَ فاعِلُها غَيْرَ مُتَّقٍ؛ ولا مُتَوَسِّلٍ؛ عَقَّبَ بِها. – البقاعي-
39	ولَمّا خَتَمَ بِوَصْفَيِ العِزَّةِ والحِكْمَةِ؛ سَبَّبَ عَنْهُما قَوْلَهُ: ﴿فَمَن تابَ﴾؛ أيْ: نَدِمَ و أقْلَعَ؛ ودَلَّ عَلى كَرَمِهِ بِالقَبُولِ في أيِّ وقْتٍ وقَعَتِ التَّوْبَةُ فِيهِ؛ ولَوْ طالَ زَمَنُ المَعْصِيَةِ –البقاعي-
40	**لَمّا أوْجبَ اللهُ تعالى قَطْعَ اليدِ، وعِقابَ الآخِرَةِ على السَّارقِ قبلَ التوبة، ثم ذَكَر أنَّه يَقبلُ توبتَه إنْ تابَ-** أَرْدَفَه سُبحانَه ببيانِ أنَّ له أنْ **يَفعلَ ما يشاءُ، ويَحكُمَ ما يُريدُ**؛ فيُعذِّبَ مَن يشاءُ، ويغفرَ لِمَن يشاءُ. - المحرر- *اسْتِئْنافٌ بَيانِيٌّ، جوابٌ لِمَن يَسْألُ عَنِ انْقِلابِ حالِ السّارِقِ مِنَ العِقابِ إلى المَغْفِرَةِ بَعْدَ التَّوْبَةِ مَعَ عِظَمِ جُرْمِهِ بِأنَّ اللهَ هو المُتَصَرِّفُ في السَّماواتِ والأرْضِ وما فِيهِما، فَهو العَلِيمُ بِمَواضِعِ العِقابِ ومَواضِعِ العَفْوِ. - ابن عاشور-



المقطع الثاني (عقد الحاكمية) من الآية 41 - 50

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾
وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ (46)

أرسل الله التوراة على اليهود فلم يتحاكموا إليها ،و أرسل الإنجيل على النصارى فلم يتحاكموا إليها ،
و أرسل الله القرآن فهل ستتحاكمون إليه و لا هتكونوا مثلهم ؟
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾



تلاعب أهل الكتاب بأحكام الله : (41 - 45)

والآية تبدأ الحديث بالمنافقين الذين قال الله لرسوله عنهم لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فهؤلاء آمنوا باللسان قولاً ولم يؤمنوا بقلوبهم فعلا، فاختلفت الجوارح واختلفت النتائج، والمشركون من العرب هم الذين يعنيهم القرآن بهذا القول، ثم يضيف إليهم الصنف الثاني في النفاق والكفر، من الذين هادوا,فهؤلاء أراد الله فتنتهم بوقوعهم في هذا النفاق والتحريف لأحكام الشرع فلن يملك لهم أحد من الله شيئاً، ولن يرد ما قد أراده الله بهم، لم يرد الله لهم طهارة القلب ولا صفاء النفوس ولا الرغبة في هذا الخير. فلهم في الحياة هذه الخزي والذل والمهانة، ومن الأخرى العذاب العظيم.

*من أخلاقهم أنهم سماعون للكذب المنقول إليهم، أكالون للحرام بكل أنواعه **رشاوى وربا** وغيرهما من المحرمات. فالله يقول لرسوله ﷺ. إن جاءك هؤلاء يطلبون الحكم فيها ارتكبوا من حرام، فأنت بالخيار أن شئت فاحكم بينهم وإن شئت فاعرض عنهم وفي كلا الحالين لن يضروك

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

يُوجِبُ قَطعَ الأيدي أيضًا.

٤١←(١)→٤١

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ بعضَ التكاليفِ وذكرَ مَن يُحارِبُونَ اللهَ ورسولَه ويَسعَونَ في الأرضِ فسادًا، هنا صبَّرَ اللهُ رسولَه على تحمُّلِ ذلك، وأمَرَه ألَّا يحزنَ ولا يَهتمَّ بأمْرِ المنافقينَ وأمْرِ اليهودِ.

٣٨- ﴿نَكَالًا﴾: عقوبة. ٤١- ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: ينقلون ما يسمعون لأعدائك. ﴿فِتْنَتَهُ﴾: ضلالته.

(٣٨) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أكل الحرام نقص في الأديان والأبدان.

(٣٩) ﴿فَمَن تَابَ ... وَأَصْلَحَ ... يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ إصلاح العمل بعد التوبة سبب لقبولها وثباتها.

(٤١) آية ينتفض لها القلب ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، حدّد أمورًا يتطهر بها قلبك ثم افعلها، مثل: حسن الظن، والعفو.

٤٠: البقرة [١٠٧]، العنكبوت [٢١]، ٤١: المائدة [٦٧].

قال السعدي رحمه الله:كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم - فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدودا من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهرا وباطنا، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت بشاشته القلوب- لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ بل أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم. فلا تبال أيضا إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالى به.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى. يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يو افق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة و اتباع ما تهوى الأنفس.



41- ***لمَّا بيَّن اللهُ سُبحانَه وتعالى بعضَ التكاليفِ والشَّرائعِ، ومنها أحكامُ الحِرابةِ والسَّرقة،*** وكان في ذِكرِ **المحاربِينَ أنَّهم يُحارِبونَ اللهَ ورسولَه، ويَسعَون في الأرضِ فسادًا**، وكان اللهُ قد عَلِم مِن بعضِ الناسِ كونَهم متسارِعينَ إلى الكفرِ- لذا صبَّرَ رسولَه على تحمُّل ذلك، وأمَرَه تعالى ألَّا يحزنَ ولا يَهتمَّ بأمْرِ المنافقين وأمْرِ اليهود؛ مِن تعنُّتِهم وتربُّصِهم به وبمَن معه الدَّوائرَ، ونَصبِهم له حبائلَ المكروهِ، وما يَحدُث منهم من الفَسادِ في الأرض، ونصْب المحاربةِ للهِ ولرسولِه، وغيرِ ذلك مِن الرَّذائِلِ الصادرةِ عنهم .

*وأيضًا لَمَّا تَقرَّرَ في الآيةِ السَّابقةِ **أنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، كان من غيرِ شكٍّ عِلةً لعدمِ الحزنِ على شيءٍ من أمْرِهم، ولا من أمْرِ غيرِهم ممَّن عصَى اللهَ في شيءٍ من هذه الأحكامِ** .

سبَبُ النُّزولِ:

عنِ البَرَاءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: ((مُرَّعلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدَعاهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: هكذا تَجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدَعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال: أنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تَجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكم؟ قال: لا، ولولا أنَّك نَشدْتَني بهذا لم أُخبِرْكَ؛ نجدُه الرَّجمَ، ولكنَّه كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ ترَكْناه، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليه الحدَّ! قلنا: تعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعلْنا التَّحميمَ والجلْدَ مكانَ الرَّجمِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمرَكَ إذْ أماتوهُ، فأمَرَبه فرُجِمَ، فأنزل اللهُ عزَّوجلَّ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إلى قولِه: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، يقول: ائتوا محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميمِ والجَلْدِ فخُذوه، وإنْ أفتاكم بالرَّجمِ فاحْذَروا، فأنزل اللهُ تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ في الكُفَّارِكلُّها)) .

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ.

أي: لا تَجعلْ- يا محمَّدُ- هؤلاءِ المنافقين، الذين يَتسابقون إلى الكُفرِ، يُدْخِلُون الحزنَ على نفسِكَ بما يَفعلونَه

ولاحظوا قوله تعالى في وصف هؤلاء المنافقين: لم يقُل (ولا يَحزُنكَ الذّين يَكفرون) و إنَّما قال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) ممّا يدُلُّ على أنّهم أصحاب قَصد، وأصحاب نيَّة فاسدة، وجُهُود حثيثة في التَّكذيب، والكُفر والإعراض، ويبتكِرُون الطُّرق. ويحثُّون غيرهم ويُجنِدُّون غيرهم على الكُفر فهؤلاءِ هُمُ المُنَافقون

قال الله (مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) فهذا أفضل تعريف للمنافقين , المنافق هو الذي آمَن بلسانه وكَفَرَ بقلبه (ومن الذّين هَادُوا) هَذَا ما يُسمّيه علماءُ التَّجويد (تعانق الوقف) فممكن أن تحتمل الآية عدة معاني .

* المَعنى الأوَّل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ) فالمقصود بهم اليهود والمنافقين

* المَعنى الثَّاني: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) ثم تتوقف, فيكون المقصود بها المنافقون, ثم تشرع في القراءة من قوله : (وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ) فيكونُ ابتداءً لكلامٍ جديد .

المَعنى الثَّالث أن تَجمَعها جميعاً فتقول: (مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ) فتكون هذه الصِّفات كُلَّها موجودة في المُنافقين واليهود على حَدٍّ سواء , فيكونُون كُلُّهم يُسارِعُون في الكُفر وهم كذلك، فاليهود يُسارِعُون في الكُفر، والمُنافقون يُسارِعُون في الكُفر وهو صحيح , فقال الله (سمَّاعُونَ للكذب سَمَّاعونَ لِقومٍ آخرين) أيضاً فَهُم كذلك. -الشيخ عبد الرحمن الشهري

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَخْدمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» قال ابن بطال رحمه الله: «وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جميع ما ذكر دفعًا عن أمته، وتشريعًا لهم، ليبين لهم صفة المهم من الأدعية.

وقوله في الحديث: الهم والحزن: الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط، والبخل ضد الكرم، والجبن ضد الشجاعة.

قال ابن القيم رحمه الله: «ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًّا عنه، أو منفيًّا، فالمنهي عنه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [آل عمران: 139]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 127]، وقوله: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: 40]، والمنفي كقوله: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 38].

وسر ذلك: أن الحزن يقطع العبد عن السير إلى الله، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يُحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ [المجادلة: 10]، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث؛ لأن ذلك يحزنه.

فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ»، فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يُستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مُفتر للعزم.

قال تعالى عن أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر: 34]، فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما تصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ [التوبة: 92]،

فلم يمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نَهَى عنه في مواضع، وإن تعلق أمر الدين به، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 139]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: 127]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: 40]، وذلك لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة، ولا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: 84].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويُحمد عليه، ويكون محمودًا من تلك الجهة، لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة، ودفع مضرة منهي عنه».

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم من أصابه حزن إلى هذا الدعاء، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فقيل: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعلمُهَا؟ قَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[«وهنا يسأل المؤمن ربه أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همه وغمه، فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويعقبه شفاءً تامًّا، وصحة وعافية. والله الموفق»



ومما يخفف من الحزن أيضًا ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ».

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ الآية [المجادلة: 10]: «والله تعالى إنما أخبرنا بذلك من أجل أن نتجنب هذا الشيء، ليس مجرد إخبار أن الشيطان يريد إحزاننا، المراد أن نبتعد عن كل ما يحزن؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ»، من أجل أن ذلك يحزنه، فكل ما يجلب الحزن للإنسان فهو منهي عنه؛ لذلك اجعل هذه نصب عينيك دائمًا أن الله يريد منك أن تكون دائمًا مسرورًا بعيدًا عن الحزن»

٤٢←(٢)←٤٣
لمَّا ذَكَرَ تحريفَ اليهودِ للتوراةِ ذَكَرَ هنا من صفاتِهم: الكذبُ وأكلُ المالِ الحرامِ، ثُمَّ التعجبُ مِن تحاكمِهم له ﷺ مع كفرِهم به وعندَهم التوراةُ ثُمَّ يُعرِضُونَ عن حكمِه.
٤٤←(٢)←٤٥
مدحَ اللهُ التوراةَ هنا عقبَ ذمِّه لليهودِ في الإعراضِ عمَّا دعتْ إليه، وأثنى على الحاكمينَ بها، ثُمَّ بَيَّنَ أنه فرَضَ عليهم فيها القصاصَ، بأنْ تُقتَلَ النفسُ إذا قَتلتْ نفسًا أُخرى عَمْدًا بغيرِ حقٍّ.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

١١٥

٤٢- ﴿لِلسُّحْتِ﴾: للحرام، ﴿ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين، ٤٤- ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾: العُبّادُ من اليهود، الذين يربّون الناس بشرع الله، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: علماء اليهود.
(٤٢) ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ ذمَّ الله سمّاع الكذب، فما بالك بمن يقوله ومن ينشره.
(٤٢) ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ سل الله أن يرزقك القسط والعدل لتنال محبة الله.
(٤٤) ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تجعل هدفك من حفظ القرآن تحصيل مصلحة دنيوية، أو ثناء. ٤٤: البقرة[١٥٠].

42	*ولَمّا **ذَكَرَ التَّحْريفَ؛ ذَكَرَ أثَرَهُ**؛ وهو الحُكْمُ بِهِ؛ فَقالَ مُكَرِّرًا لِوَصْفِهِمْ؛ زِيادَةً في تَوْبِيخِهِمْ؛ وتَقْبِيحِ شَأْنِهِمْ. –البقاعي- *(أكّالُونَ لِلسُّحْتِ) *لمَّا ذكرَ سُبحانَه **ما يَدخُلُ في آذانِهم وقلوبِهم مِنَ الكلامِ**؛ أتبَعَ ذلك بذِكرِ ما يَدخُلُ في **أفواهِهم وبُطونِهم** من الطَّعامِ، وهما غذاءانِ خَبيثانِ. –المحرر-
43	*هَذِهِ الجُمْلَةِ عَطْفٌ عَلى جُمْلَةِ ﴿فَإنْ جاءُوكَ فاحْكم بَيْنَهم أوْ أعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:٤٢] . والِاسْتِفْهامُ لِلتَّعْجِيبِ، ومَحَلُّ العَجَبِ مَضْمُونُ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أيْ مِنَ العَجِيبِ أنَّهم يَتْرُكُونَ كِتابَهم ويُحَكِّمُونَكَ وهم غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِكَ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ بَعْدَ حُكْمِكَ إذا لَمْ يُرْضِهِمْ.-ابن عاشور *ثم قال متعجبا لهم ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم -لو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان ويوجبه- لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم، لعلهم أن يجدوا عندك ما يو افق أهواءهم. وحين حكمت بينهم بحكم الله المو افق لما عندهم أيضا، لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه، فلم يرتضوه أيضا.
44	لَمّا وصَفَ التَّوْراةَ بِأنَّ فِيها حُكْمَ اللَّهِ اسْتَأْنَفَ ثَناءً عَلَيْها وعَلى الحاكِمِينَ بِها. ووَصَفَها بِالنُّزُولِ لِيَدُلَّ عَلى أنَّها وحْيٌ مِنَ اللَّهِ. –ابن عاشور- *فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ. لَمَّا قرَّرَفيما سبَقَ أنَّ النبيِّين والربَّانيِّين والأحبارَكانوا قائمينَ بإمضاءِ أحكامِ التَّوراةِ من غيرِمبالاةٍ؛ خاطَب اليهودَ الذين كانوا في عصرِ النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ومنَعهم مِنَ التَّحريفِ والتَّغييرِ. المحرر-

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

لَمَّا منَعهم مِن خَشيةِ النَّاس، وأن يشتَرُوا بآياتِه ثمنًا قليلًا؛ أتبعَه بالوعيدِ الشَّديد .

سببُ النُّزولِ:

عن البَراءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((مُرَّعلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدَعاهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: هكذا تجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال: أَنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكم؟ قال: لا، ولولا أنَّك نَشدْتَني بهذا لم أُخبِرْكَ؛ نجدُه الرَّجمَ، ولكنَّه كثُرَفي أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ تركْناهُ، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ! قلنا: تَعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعَلْنا التَّحميمَ والجلْدَ مكانَ الرجمِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمْركَ إذْ أماتوهُ، فأمرَبهِ فرُجِم، فأنزل اللهُ عزَّوجلَّ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إلى قوله: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، يقول: ائتوا محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميمِ والجلدِ فخُذوه، وإنْ أفتاكم بالرَّجمِ فاحذَروا، فأنزلَ اللهُ تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ في الكُفارِكلِّها)) .

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كِتابِه من اليهودِ وغيرِهم، فبدَّلوا حُكمَه، وكتَموا الحقَّ الذي أنزلَه في كتابِه، وحَكَموا بالباطل؛ هؤلاءِ هم الكافرون .



ثُمَّ بَيَّنَ أنه فرَض عليهم فيها القصاص، بأنْ تُقتَلَ النفسُ إذا قَتلتْ نفسًا أُخرى عَمْدًا بغيرِ حقٍّ.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

١١٥

٤٢ - ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: للعدل، ﴿ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين، ٤٤ - ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: العُبّاد من اليهود، الذين يربّون الناس بشرع الله، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: علماء اليهود.

(٤٢) ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ ذمّ الله سماع الكذب، فما بالك بمن يقوله ومن ينشره.

(٤٢) ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ سل الله أن يرزقك القسط والعدل لتنال محبة الله.

(٤٤) ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تجعل هدفك من حفظ القرآن تحصيل مصلحة دنيوية، أو ثناء. [٤٤]: البقرة: [١٥٠].

* (وَمَن لَّمْ يَحكُم بِمَا أَنزلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

* ثُمّ يقول: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْظّالِمون)

* ثُمّ يقول: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفاسقُون)

فَوَصف اللهُ الذِّين يَحكمون بغيرِ ما أنزل بثلاث صفات (الكُفروالظُّلم والفِسق) فَبَدَأ بأعظمِها ثم تَدرَّج إلى أقلِّها. فالآية الأولى يَذكرُ اللهُ فيها (العُلماء، والأحبار، والرَّبانيين) الذِّين هُم أولى النَّاس بأن يَستمسكوا بهذا الكتاب, فإذا وقع أنَّهم تركوه وحكموا بغيره فهم أولى بوصف الكفر لأنّهم قد نَبذوه وراءهم ظِهريًّا

45	**هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار.** إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس -إذا قتلت- تقتل بالنفس بشرط العمد والمكافأة، والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن، والسن ينزع بالسن. ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن الاقتصاص منها بدون حيف. –السعدي- *لَمّا وصَف اللهُ عزَّوجلَّ **التوراةَ بأنَّ فيها حُكمَه سُبحانَه** في قوله: وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ **وتضمَّن ذلك مدْحَ التَّوراةِ؛ صرَّح بذلك هنا**، فأثْنى عليها وعلى الحاكمينَ بها، تأكيدًا لذمِّ اليهودِ في الإعراضِ عمَّا دعَتْ إليه مِن أصلٍ وفرعٍ، وتحذيرًا من مِثل حالِهم. -المحرر- *عُطِفَتْ جُمْلَةُ "كَتَبْنا" عَلى جُمْلَةِ "أنْزَلْنا التَّوْراةَ" . ومُناسَبَةُ عَطْفِ هَذا الحُكْمِ عَلى ما تَقَدَّمَ أنَّهم غَيَّرُوا أحْكامَ القِصاصِ كَما غَيَّرُوا أحْكامَ حَدِّ الزِّنى، فَفاضَلُوا بَيْنَ القَتْلى والجَرْحى. *ولَمّا كانَ خِتامُ هَذِهِ الآياتِ في تَرْهِيبِ المُعْرِضِ عَنِ الحُكْمِ بما أنْزَلَ اللَّهُ مُطابِقًا لِقَوْلِهِ في أوَّلِ سِياقِ المُحارَبَةِ: ﴿ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنهم بَعْدَ ذَلِكَ في الأرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]؛ رَجَعَ إلى القَتْلِ؛ مُبَيِّنًا أنَّهم بَدَّلُوا في القَتْلِ؛ كَما بَدَّلُوا في الزِّنا؛ فَفَضَّلُوا بَنِي النَّضِيرِ عَلى بَنِي قُرَيْظَةَ. –البقاعي-

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦←(٢)→٤٧
بعدَ أن مَدَحَ التوراةَ وأثنى على الأنبياءِ الحاكمينَ بها، بَيَّنَ هنا أنّه أتبعَهم بعيسى ﷺ، مؤمنًا بما فيها ومؤيِّدًا لها، ثُمَّ مَدَحَ الإنجيلَ.

٤٨←(٣)→٥٠
بعدَ أن مَدَحَ اللهُ التوراةَ ثُمَّ الإنجيلَ وأمَرَ باتِّباعِهما، ذكَرَ هنا القرآنَ وبَيَّنَ منزلتَه من الكتبِ السابقةِ، وأن الحكمةَ اقتضَتْ تعددَ الشرائعِ لهدايةِ البشرِ، ثُمَّ الأمرُ بالحكمِ بما أنزلَ اللهُ وذمُّ التحاكمِ لأعرافِ الجاهليةِ.

٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا. ٤٨- ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: حاكمًا عليه. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم. ٤٩- ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يضلوك.

(٤٨) ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ عمرك قصير؛ اسبق اليوم غيرك إلى نوع من الطاعات؛ كالصف الأول أو الصدقة لمحتاج.

(٤٩) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ بعض الطاعات لا يوفق العبد لها بسبب ذنب سابق، لا تظن أن شؤم الذنب ينتهي من وقته.

٤٦: الحديد [٢٧]، ٤٨: النحل [٩٣]، البقرة [١٤٨]، المائدة [٤٩].

46	*لمّا ذكر تعالى أنَّ التوراةَ يَحكم بها النَّبِيُّون، ذكر أنَّه قفَّاهم بعيسى؛ تَنبيهًا على أنَّه من جُملةِ الأنبياء، وتنويهًا باسمِه، وتنزيهًا له عمَّا يدَّعيه اليهودُ فيه، وأنَّه من جملة مصدِّقي التوراةِ –المحرر- *ولَمّا كانَتْ هَذِهِ الآياتُ كُلُّها - مَعَ ما فِيها مِنَ الأسْرارِ- ناقِضَةً أيضًا لِما ادَّعَوْا مِنَ البُنُوَّةِ؛ بِما ارْتَكَبُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ مِن تَحْرِيفِ كَلامِ اللَّهِ؛ وسَماعِ الكَذِبِ؛ وأكْلِ السُّحْتِ؛ والإعْراضِ عَنْ أحْكامِ التَّوْراةِ؛ والحُكْمِ بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ؛ أتْبَعها ما أتى بِهِ عِيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ .... ﴿وقَفَّيْنا﴾؛....كُلُّ ما بَعْدَها مِن آياتِهِمْ؛ إلى آخِرِ السُّورَةِ؛ لا تَخْلُو آيَةٌ مِنها مِنَ التَّعَرُّضِ إلى نَقْضِ دَعْواهم لَها بِذِكْرِ ذَنْبٍ؛ أوْ ذِكْرِ عُقُوبَةٍ عَلَيْهِ؛ أوْ ذِكْرِ تَكْذِيبٍ لَهم مِن كِتابِهِمْ؛ أوْ نَبِيِّهِمْ. –البقاعي-
47	*عَطْفٌ عَلى جُمْلَةِ ﴿إنّا أنْزَلْنا التَّوْراةَ فِيها هُدًى ونُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] انْتِقالًا إلى أحْوالِ النَّصارى لِقَوْلِهِ: ﴿ولْيَحْكُمْ أهْلُ الإنْجِيلِ بِما أنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ومَن لَمْ يَحْكم بِما أنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ ولِبَيانِ نَوْعٍ آخَرَ مِن أنْواعِ إعْراضِ اليَهُودِ عَنِ الأحْكامِ الَّتِي كَتَبها اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَعْدَ أنْ ذَكَرَ نَوْعَيْنِ راجِعَيْنِ إلى تَحْرِيفِهِمْ أحْكامَ التَّوْراةِ: أحَدُهُما ما حَرَّفُوهُ وتَرَدَّدُوا فِيهِ بَعْدَ أنْ حَرَّفُوهُ فَشَكُّوا في آخِرِ الأمْرِ والتَجَئُوا إلى تَحْكِيمِ الرَّسُولِ؛ وثانِيهِما ما حَرَّفُوهُ وأعْرَضُوا عَنْ حُكْمِهِ ولَمْ يَتَحَرَّجُوا مِنهُ وهو إبْطالُ أحْكامِ القِصاصِ. وهَذا نَوْعٌ ثالِثٌ وهو إعْراضُهم عَنْ حُكْمِ اللَّهِ بِالكُلِّيَّةِ، وذَلِكَ بِتَكْذِيبِهِمْ لِما جاءَ بِهِ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ.-ابن عاشور-
48	*القرآن مهيمن:ولَمّا ذَكَرَ- سُبْحانَهُ - الكِتابَيْنِ؛ ذَكَرَ خِتامَهُما؛ وتَمامَهُما؛ وهو ما أُنْزِلَ إلى هَذا النَّبِيِّ الأُمِّيِّ مِنَ الفُرْقانِ؛ الشّاهِدِ عَلى جَمِيعِ الكُتُبِ الَّتِي قَبْلَهُ. –البقاعي- *لَمَّا ذكراللهُ تعالى التوراةَ التي أنزلَها على موسَى عليه السَّلامُ، ومدَحَها و أثْنَى عليها، وأمَرباتِّباعِها؛ حيثُ كانتْ سائغةَ الاتِّباع، وذكَر الإنجيلَ ومدَحَه، وأمَر أهلَه بإقامَتِه و اتِّباعِ ما فيه؛ شَرَع تعالى في ذِكرِالقرآنِ العظيم، ومكانِه من الكتُب التي قبلَه، وهو الذي أنزلَه على عبدِه ورسولِه الكريمِ محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، مُقررًا لنبوَّته وكتابِه؛ لأنَّ اليهودَ والنَّصارى يُنكِرونَ نُبوَّتَه وكتابَه، وأنَّ حِكمتَه تعالى اقتضَتْ تعدُّدَ الشَّرائعِ ومناهجِ الهِداية؛ فتلك مُقدِّماتٌ ووسيلةٌ، وهذا هو المقصدُ والنتيجة. المحرر- *فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ : لمَّا كان في الاختبارِأعظمُ تهديدٍ في قوله: وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ سبَّب عنه قولَه: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ؛ ليحُثَّ على السَّبقِ للخَيرِ. –المحرر-
49	*ولَمّا كانَ الأمْرُبِالحُكْمِ فِيما مَضى لِكَوْنِهِ مُسَبَّبًا عَمّا قَبْلَهُ مِن إنْزالِ الكِتابِ عَلى الأحْوالِ المَذْكُورَةِ؛ أعادَ الأمْرَبِهِ - سُبْحانَهُ -؛ مُصَرِّحًا بِذَلِكَ لِذاتِهِ؛ لا لِشَيْءٍ آخَرَ؛ لِيَكُونَ الأمْرُ بِهِ مُؤَكَّدًا غايَةَ التَّأْكِيدِ بِالأمْرِ بِهِ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً لِأنَّ اللَّهَ أمَرَ بِهِ؛ وأُخْرى لِأنَّهُ عَلى وفْقِ الحِكْمَةِ؛ فَقالَ تَأْكِيدًا لَهُ؛ وتَنْوِيهًا بِعَظِيمِ شَأْنِهِ؛ ومُحَذِّرًا مِنَ الأعْداءِ فِيما يُلْقُونَهُ مِنَ الشُّبَهِ لِلصَّدِّ عَنْهُ. –البقاعي-
50	ولَمّا كانَ مِنَ المَعْلُومِ أنَّ مَن أعْرَضَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ أقْبَلَ؛ ولا بُدَّ؛ عَلى حُكْمِ الشَّيْطانِ؛ الَّذِي هو عَيْنُ الهَوى؛ الَّذِي هو دِينُ أهْلِ الجَهْلِ؛ الَّذِينَ لا كِتابَ لَهم هادٍ؛ ولا شَرْعَ ضابِطٌ؛ سَبَّبَ عَنْ إعْراضِهِمُ الإنْكارَ عَلَيْهِمْ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿أفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ﴾

«ينكر- تعالى- على من خرج عن حكم الله- المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر- وعدل عنه إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات.

مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم «جنكزخان» الذي وضع لهم «الباسق» وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى.
فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.



الولاء والبراء بعد الحاكمية لارتباطهما

فالولاء للّه يستوجب تحكيم شرعه والولاء لليهود والنصارى فيه

رضى بتحكيمهم وشرعهم بسبب الخوف على المصالح العاجلة

(56-51)
المفاصلة بين المسلمين وأهل الكتاب

(63-57)
الدين بين المستهزئين و الكارهين له

(64)
سب اليهود للمولى عز وجل

(66-65)
لو أنهم آمنوا

(67 -69)
عصمة الرسول ﷺ

(77-70)
طبيعة بني إسرائيل

المقطع الثالث:عقد الولاء والبراء (51-77)

المقطع الثالث (عقد الولاء و البراء)
المفاصلة بين المؤمنين وأهل الكتاب (51 -56)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَا أَيُّهَا

٥١ ← (٣) ← ٥٣
لمَّا بَيَّنَ اللهُ عنادَ اليهودِ والنَّصارى وعداوتَهم ومحاولتَهم تضليلَ المسلمينَ، حَرَّمَ هنا موالاتَهم، ثُمَّ بَيَّنَ مسارعةَ المنافقينَ إلى موالاتِهم ومودتِهم.

علاقة المقطع بالسابق

50-41

نرى الآيات الكريمة قد كشفت «باستفاضة» عن المسالك الخبيثة التي سلكها اليهود وأشباههم لكيد الإسلام والمسلمين.

فأنت تراها في مطلعها قد نادت الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا النداء وأمرته بعدم المبالاة بما يصدر عن أولئك الذين يسارعون في الكفر من مكر وخداع ووصفهم بجملة من الصفات القبيحة التي تجعل كل عاقل ينفر من الاقتراب منهم، وخيرت الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحكم بينهم أو الإعراض عنهم إذا ما تحاكموا إليه.

ووبخت اليهود على إعراضهم عن الأحكام العادلة التي أنزلها الله- تعالى- ووصفت المعرضين عن حكمه سبحانه بالكفر تارة وبالظلم تارة وبالفسق تارة أخرى.

وبعد أن مدحت التوراة والإنجيل، وبينت بعض ما اشتملا عليه من هدايات ... عقبت ذلك ببيان منزلة القرآن الكريم و أنه الكتاب الجامع في هدايته وفضله وتشريعاته لكل ما جاء في الكتب السابقة.

ثم ختمت بتكرير الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يلتزم في أحكامه بما أنزله الله، وبتحذيره وتحذير أتباعه من خداع أعدائهم ومكرهم، وتتوعد كل من يرغب عن حكم الله إلى حكم غيره، بسوء العاقبة، وشديد العذاب. وبعد هذا الحديث المستفيض عن الكتب السماوية: وعن وجوب الحكم بما أنزل الله، وعن المسالك الخبيثة التي استعملها اليهود ومن على شاكلتهم لكيد الدعوة الإسلامية بعد كل ذلك وجه- سبحانه- نداء إلى المؤمنين حذرهم فيه من موالاة أعدائهم . -التفسير الوسيط

لَمَّا أخبرَ اللهُ عن **اضطرابِ اليهودِ في دِينهم**، ومحاولتِهم تضليلَ المسلمينَ، وتقليبَ الأمورِللرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وبَيَّن عِنادَهم وعداوتَهم لأهلِ هذا الدِّين في الآياتِ السابقةِ- **تهيَّأت نُفوسُ المؤمنين لقَبول النَّهي عن موالاةِ أهلِ الكتاب**؛ لأنَّ الوَلايةَ تنبني على الوِفاقِ والوِئامِ والصِّلةِ، وليس أولئك بأهلٍ لوَلاية المسلمينَ؛ لبُعدِ ما بينَ الأخلاقِ الدِّينيَّة، ولإضمارِهم الكيدَ للمسلمين، فأَقبلَ عليهم بالخِطابِ، **فنهى مَن اتَّسم بالإيمانِ عن موالاتِهم**. –المحرر-

*وقد نادى- سبحانه- المؤمنين بصفة الإيمان، لحملهم من أول الأمر على الانزجار عما نهوا عنه، إذ أن وصفهم بما هو ضد صفات الفريقين- اليهود والنصارى- من أقوى الزواجر عن موالاتهما. –الوسيط-

وقوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ جملة مستأنفة بمثابة التعليل للنهى، والتأكيد لوجوب اجتناب المنهي عنه.

أى لا تتخذوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى أولياء، لأن بعض اليهود أولياء لبعض منهم، وبعض النصارى أولياء لبعض منهم، والكل يضمرون لكم البغضاء والشر، وهم وإن اختلفوا فيما بينهم، لكنهم متفقون على كراهية الإسلام والمسلمين.

وقوله وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ تنفير من موالاة اليهود والنصارى بعد النهى عن ذلك.

والولاية لليهود والنصارى إن كانت على سبيل الرضا بدينهم، والطعن في دين الإسلام، كانت كفرا وخروجا عن دين الإسلام.

وإلى هذا المعنى أشار ابن جرير بقوله: قوله: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ أى: ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه راض. وإذا رضى دينه، فقد عادى من خالفه وسخطه. وصار حكمه حكمه» .

وإذا كانت الولاية لهم ليست على سبيل الرضا بدينهم و إنما هي على سبيل المصافاة والمصادقة كانت معصية تختلف درجتها بحسب قوة الموالاة وبحسب اختلاف أحوال المسلمين وتأثرهم بهذه الموالاة. –الوسيط-

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمة روايات منها:

ما رواه السدى من أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد و اقعة أحد: أما أنا فإنى ذاهب إلى ذلك اليهودي فأواليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث. وقال الآخر: وأما أنا فإنى ذاهب إلى فلان النصر اني بالشام فأواليه و أتنصر معه. فأنزل الله تعالى الآيات.

وقال عكرمة: نزلت في أبى لبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى بنى قريظة فسألوه: ماذا هو صانع بنا؟ فأشار بيده إلى حلقه، أى: إنه الذبح.

وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول فقد أخرج ابن جرير عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بنى الحارث بن الخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم. و إنى أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود و أتولى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إنى رجل أخاف الدو ائر، لا أبرأ من ولاية موالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي: يا أبا الحباب، ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه قال: قد قبلت. فأنزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ ... إلى قوله: نادِمِينَ «١»

52	*أصحاب النفوس الضعيفة والوجوه المتعددة. *حالَةٍ مِن مُوالاتِهِمْ أُرِيدَ وصْفُها لِلنَّبِيءِ ﷺ لِأنَّها وقَعَتْ في حَضْرَتِهِ.-ابن عاشور- *ثم ذكر الله سبحانه وتعالى فئةً من المُسلمين تنتسب إلى الإسلام، ولكنّها تُحاوِل تبرير هذه العَلاقة مع الكُفّار مع اليَهُود والنَّصارى بأنَّها مسألة سِياسية، وأنَّها مسألة دُبلوماسية، و أننَّا نحن نفعل ذلك مع اليَهود والنَّصارى، لأنَّه رُبَّما تميل الكَفَّة لصالحهم فإذ بنا لدينا خَطّ رَجعَة- كما يقولون- فيقول الله سبحانه وتعالى هنا (فَتَرَى الذِّين في قُلُوبِهِم مَرَض) . –عبد الرحمن الشهري- *وبعد هذا النهى الشديد عن موالاة أعداء الله، صور القرآن حالة من حالات المنافقين بين فيها كيفية توليهم لأعداء الله، وأشعر بسببه. –الوسيط-
53	*ثم حكى- سبحانه- ما قاله المؤمنون الصادقون على سبيل الإنكار لمسالك المنافقين الخبيثة وتوبيخهم على ضعف إيمانهم، وهوان نفوسهم فقال- تعالى-: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ. قال الآلوسي: قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا كلام مستأنف لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة: - وهي قراءة عاصم وحمزه والكسائي بإثبات الواو مع الرفع. وقرأ ابن كثيرونافع و ابن عامربغيرواوعلى أنه استئناف بيانى، كأنه قيل: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟.

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ عداءَ اليهودِ والنَّصارى وعداوتَهم ومحاولتَهم تضليل المسلمين، حَرَّمَ هنا مُوالاتَهم، ثُمَّ بَيَّنَ مسارعةَ المنافقين إلى موالاتِهم ومودتِهم.

51-أى: إن الله لا يهدى القوم الظالمين لأنفسهم إلى الطريق المستقيم، و إنما يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفروالضلال، والفسوق والعصيان، بسبب وضعهم الولاية في غيرموضعها الحق، وسيرهم في طريق أعداء الله.

52-***والتعبير بقوله- سبحانه- ترى..** تصويرللحال الو اقعة منهم بأنها كالمرئية المكشوفة التي لا تخفى على العقلاء البصراء.

وفي ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتحذيرله ولأصحابه من مكر أولئك الذين في قلوبهم مرض.

والتعبيربقوله: يُسارِعُونَ فِيهِمْ يشيرإلى أنهم لا يدخلون ابتداء في صفوف الأعداء «و إنما هم منغمرون فيهم دائما» ولا يخرجون عن دائرتهم بل ينتقلون في صفوفهم بسرعة ونشاط من دركة إلى دركة، ومن إثم إلى آثام.

***والتعبير بقوله: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** تعبيرقوى رائع، وصف القرآن به المنافقين وأشباههم في الكفروالضلال في مواطن كثيرة، لأنه لما كانت قوة القلب تضرب مثلا للثبات والتماسك.كان ضعف القلب الذي عبرعنه بالمرض يضرب مثلا للخور، والتردد والتزلزل، وانهيارالنفس. –الوسيط-

والتعبير بقوله: يُسارِعُونَ فِيهِمْ يشيرإلى أنهم لا يدخلون ابتداء في صفوف الأعداء «و إنما هم منغمرون فيهم دائما» ولا يخرجون عن دائرتهم بل ينتقلون في صفوفهم بسرعة ونشاط من دركة إلى دركة، ومن إثم إلى آثام.

*وقوله- تعالى- حكاية عنهم: يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ **بيان لما اعتذروا به من معاذير كاذبة تدل على سقوط همتهم، وقلة ثقتهم بما وعد الله به المؤمنين من حسن العاقبة.**

ولذا فقد رد الله عليهم بما يكبتهم، وبما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم فقال تعالى: فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ.

وعسى: لفظ يدل على الرجاء والطمع في الحصول على المأمول، وإذا صدرمن الله- تعالى- كان متحقق الوقوع لأنه صادرمن أكرم الأكرمين الذي لا يخلف وعده، ولا يخيب من رجاه.

والفتح يطلق بمعنى التوسعة بعد الضيق كما في قوله: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ. ويطلق بمعنى الفصل بين الحق والباطل. ومن ذلك قوله- تعالى-: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ ويطلق بمعنى الظفر والنصركما في قوله- تعالى- إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً.

ولفظ الفتح هنا يشمل هذه الأمور الثلاثة فهو سعة بعد ضيق، وفصل بين حق وباطل، ونصر بعد جهاد طويل.

والمعنى: لا تهتموا أيها المؤمنون بمسارعة هؤلاء الذين في قلوبهم مرض إلى صفوف أعدائكم وارتمائهم في أحضانهم خشية أن تصيبهم دائرة، فلعل الله- عزوجل- بفضله وصدق وعده أن يأتى بالخيرالعميم والنصرالمؤزرالذي يظهردينه. ويجعل كلمته هي العليا.. أويأتى بأمرمن عنده لا أثرلكم فيه فيزلزل قلوب أعدائكم، وينصركم عليهم، ويجعل الهزيمة والندم للموالين لأعدائكم، وبسبب شكهم في أن تكون العاقبة للإسلام والمسلمين.

ولقد صدق الله وعده، ففضح المنافقين وأذلهم، وأنزل الهزيمة باليهود، وأورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم.

***وقد جاء التعبير في قوله- تعالى-: فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ بصيغة الرجاء،** لتعليم المؤمنين عدم اليأس من رحمة الله، ومن مجيء نصره، ولتعويدهم على أن يتوجهوا إليه- سبحانه- في مطالبهم بالرجاء الصادق، والأمل الخالص.



وقد اشتملت هذه الآيات الكريمة على ضروب من توكيد النهى عن موالاة أعداء اللّه- تعالى- بأساليب متعددة.

منها: النهى الصريح كما في قوله- تعالى- : لا تَتّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنّصارى أَوْلِياءَ.

ومنها: بيان علة النهى كما في قوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ.

ومنها: التصريح بأن من يواليهم فهو منهم وذلك في قوله: وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ.

ومنها: تسجيل الظلم على من يواليهم كما في قوله: إِنّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ.

ومنها: الإخبار بأن موالاتهم من طبيعة الذين في قلوبهم مرض قال- تعالى-: فَتَرَى الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ.

ومنها: قطع أطماع الموالين لهم وتبشير المؤمنين بالفوز قال- تعالى-: فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ.

ومنها: الإخبار عن حال الموالين لهم بقوله: حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ



إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

١١٧

٥٤←(٤)←٥٧

لمَّا نهى اللهُ عن مُوالاتِهم وبيَّنَ أن الذينَ يسارعُونَ إلى مُوالاتِهم مرتدُّونَ، بيَّنَ هنا استغناءَه عن أهلِ الرِّدةِ، وصفاتِ صادقي الإيمانِ، ثُمَّ ذكرَ مَن يجبُ ويتعيَّنُ موالاتُه، والنهيُ العامُّ عن موالاةِ جميعِ الكفارِ.

٥٢ ﴿دَآئِرَةٌ﴾: مُصيبةٌ تدورُ علينا، ٥٤ ﴿أَذِلَّةٍ﴾: رُحماءَ، ﴿أَعِزَّةٍ﴾: أشدَّاءَ، ﴿لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: اعتراضَ مُعترضٍ.

(٥٤) ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أعظمُ علاماتِ محبَّةِ المؤمنِ لربِّه لينُه للمؤمنين وتواضُعه لهم.

(٥٤) ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ إن كنتَ تخشى اللُّوام قبل كلامك، فتذكَّرْ هذه الآيةَ في مدحِ أحبابِ الله.

(٥٤) إذا رأيتَ من أقرانك مَنْ هو أفضلُ منك فهمًا أو علمًا أو مالًا فتذكَّر: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ تمنعْ مرورَ الحسدِ إلى قلبك.

٥١: التوبة [٢٣]، ٥٤: البقرة [٢١٧]، ٥٦: المجادلة [٢٢].

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

لَمَّا مدَحهم اللهُ تعالى بما مَنَّ به عليهم مِنَ الصِّفاتِ الجليلةِ، والمناقِبِ العاليَةِ، المستلزمة لِمَا لم يُذكَرْمِن أفعالِ الخيرِ- أخبرَأنَّ هذا مِن فضلِه عليهم وإحسانِه؛ لئلَّا يُعجَبوا بأنفسِهم، ولِيَشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك؛ ليَزيدَهم من فضلِه، وليعلمَ غيرُهم أنَّ فضلَ الله تعالى ليس عليه حِجابٌ. –السعدي-

***وقدم- سبحانه- محبته لهم على محبتهم له، لشرفها وسبقها، إذ لولا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.-الوسيط-**

54

*وبعد أن حذر- سبحانه- المؤمنين من ولاية اليهود والنصارى، عقب ذلك بنداء آخروجه إليهم، **وبين لهم فيه أن موالاة أعداء الله قد تجر إلى الارتداد عن الدين**، وأنهم إن ارتدوا فسوف يأتى الله بقوم آخرين لن يكونوا مثلهم، وأن من الواجب عليهم أن يجعلوا ولا يتهم لله ولرسوله وللمؤمنين . –الوسيط-

***لَمَّا نهَى تعالى عن موالاةِ اليهودِ والنَّصارى**، وبيَّن أنَّ **موالاتَهم مستدعيةٌ للارتدادِ** عن الدِّين بقوله: فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، وقوله: حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - **شرَع في بيانِ حالِ المرتدِّين على الإطلاقِ** .-القاسمي-

*و أيضًا **لـمَّا نهى اللهِ تعالَى عن مُوالاةِ اليهودِ والنَّصارى**، وأخبَرأنَّ فاعلَها منهم- عقَّب ذلك بالإشارةِ إلى أنَّ **اتخاذَ اليهودِ والنَّصارى أولياءَ ذريعةٌ للارتدادِ**، و أنبأَ المتردِّدين ضعفاءَ الإيمانِ بأنَّ الإسلامَ غنيٌّ عنهم، إن عزموا على الارتدادِ إلى الكُفْر. –ابن عاشور-

*فإن الله إذا أحب عبدا حبب إليه اتباع أمره ونهيه.والحب هو الذي يجعلك تتولى الله ولا تتولى أعداءه.

***قال السعدي رحمه الله**:يخبرتعالى أنه الغني عن العالمين، و أنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، و إنما يضر نفسه. وأن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافا، و أقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا، أجلُّ صفاتهم أن الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، و أفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسرله الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، و أقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد. ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ كما أن من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثارمن ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غيرموجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثرمن ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسيرمن العمل، وغفرله الكثيرمن الزلل. ومن صفاتهم أنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ور أفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصارعليهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.



إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

١١٧

٥٤←(٤)→٥٧

لمّا نهى الله عن موالاتهم وبيّن أن الذين يسارعون إلى موالاتهم مرتدون، بيّن هنا استغناءه عن أهل الردة، وصفات صادقي الإيمان، ثُمّ ذكر من يجب ويتعيّن موالاته، والنهي العام عن موالاة جميع الكفار.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا

٥٨←(٤)→٦١

لَمّا حكى الله أن الكفّار اتّخذوا دين المسلمين هُزوًا ولعبًا، ذكَرَ هنا بَعضَ ما يتّخِذونه هُزوًا ولعبًا وهو الصَّلاة، ثُمَّ أمَرَ بسؤالِهم: ماذا تعيبُون علينا؟! وبيّنَ أنهم أولى بالعَيبِ.

وبذلك ترى أن هذه الآيات الكريمة قد نهت المؤمنين نهيا شديدا عن موالاة أعداء اللّه، لأن موالاتهم قد تجر إلى الارتداد عن الدين الحق، ومن يرتد عن الدين الحق فلن يضر اللّه شيئا، لأنه سبحانه- قادر على أن يأتي بقوم آخرين صادقين في إيمانهم بدل أولئك الذين ارتدوا على أعقابهم. كما نراها قد أرشدت المؤمنين إلى من تجب موالاتهم، وبشرتهم بالفلاح والنصر متى جعلوا ولايتهم للّه ولرسوله ولإخوانهم في العقيدة والدين.

55	***لَمّا نهى اللّهِ تعالى عن ولايةِ الكفّارِ من اليهودِ والنَّصارى وغيرِهم، وذكَر مآلَ تولِّيهم أنَّه الخسرانُ المبين- أخبر تعالى بمَن يجِبُ ويتعيَّن تولِّيه، وذكَر فائدةَ ذلك ومصلحتَه. –السعدي-** *وقدم- سبحانه- محبته لهم على محبتهم له، لشرفها وسبقها، إذ لولا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.-الوسيط- *ولَمّا نَفى - سُبْحانَهُ - وِلايَتَهُمْ؛ بِمَعْنى المَحَبَّةِ؛ وبِمَعْنى النُّصْرَةِ؛ وبِمَعْنى القُرْبِ بِكُلِّ اعْتِبارٍ؛ أنْتَجَ ذَلِكَ حَصْرَ وِلايَةِ كُلِّ مَن يَدَّعِي الإيمانَ فِيهِ؛ وفي أوْلِيائِهِ. –البقاعي-
56	***وعد اللّه سبحانه من يتولى اللّه ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم....** وقد وقع ولله الحمد ما وعد الله به أولياءه وأولياء رسله وأولياء عباده المؤمنين من الغلب لعدوهم فإنهم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية حتى صاروا لعنهم الله أذل الطوائف الكفرية و أقلها شوكة، وما زالوا تحت كلكل المؤمنين يطحنونهم كيف شاؤوا يمتهنونهم كما يريدون من بعد البعثة الشريفة المحمدية إلى هذه الغاية.-القنوجي-

الدين بين المستهزئين والكارهين له: (57 - 63)

بعد الحديث عن الردة يأتي الآن الحديث عن الاستهزاء بالدين وشعائره. يمضي القرآن في الحديث عن اليهود والنصارى فبعد أن نهي عن موالاتهم، واستهزاء الكفرة والمشركين بالدين وشعائره يبين في الآيات الآتية أسباب كراهيتهم للمسلمين، وعقاب اللّه لهم.

57	***قال ابن كثير: هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام من الكتابيين والمشركين** الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي، يتخذونها هزوا يستهزئون بها، ولعبا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، كما قال القائل. وكم من عائب قولا صحيحا ... و آفته من الفهم السقيم *هذا النهي عن موالاة المتخذين للدين هزواً ولعباً يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام.-القنوجي- *ثم كرر- سبحانه- نهى المؤمنين عن موالاة أعدائه وأعدائهم الذين استخفوا بتعاليم الإسلام، وشعائر دينه.-الوسيط- *وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. لَمَّا نهَى الله تعالى المؤمنين عن اتِّخاذِ أهلِ الكتابِ والكفَّارِ أولياءَ، أمَرَهم بتقواه؛ فإنَّها هي الحاملةُ على امتثالِ الأوامرِ، واجتنابِ النواهي، أي: اتَّقوا اللهَ في موالاة الكفَّار، ثم نبَّه على الوصفِ الحاملِ على التقوى، وهو الإيمانُ. –المحرر-
58	**لَمّا حَكَى اللهُ تعالى في الآيةِ الأُولى عن أهلِ الكِتابِ والكفَّارِ أنَّهم اتَّخذوا دِينَ المسلمين هُزوًا ولعبًا، ذكَر هاهنا بَعضَ ما يتَّخِذونه مِن هذا الدِّينِ هُزوًا ولعبًا.**-المحرر- *ولَمّا عَمَّ في بَيانِ اسْتِهْزائِهِمْ جَمِيعَ الدِّينِ؛ خَصَّ رُوحَهُ؛ وخالِصَتَهُ؛ وسِرَّهُ. –البقاعي-



صفات المؤمنين الكمل

وصف اللّه- تعالى- أولئك القوم الذين يأتى بهم بدل الذين كفروا بعد إيمانهم، وصفهم بعدد من الصفات الحميدة، والسجايا الكريمة.



- **أولا- بقوله: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ):**

ومحبة الله- تعالى- للمؤمنين هي أسمى نعمة يتعشقونها ويتطلعون إليها، ويرجون حصولها ودوامها. وهي- كما يقول الآلوسى- محبة تليق بشأنه على المعنى الذي أراده.

ومن علاماتها: أن يوفقهم- سبحانه- لطاعته، وأن ييسر لهم الخير في كل شئونهم.

ومحبة المؤمنين لله- تعالى- معناها: التوجه إليه وحده بالعبادة، و اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به، والاستجابة لتعاليمه برغبة وشوق.

وقدم- سبحانه- محبته لهم على محبتهم له، لشرفها وسبقها، إذ لولا محبته لهم لما وصلوا إلى طاعته.

- **ثانيا- بقوله:(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ).**

وقوله: أَذِلَّةٍ جمع ذليل، من تذلل إذا تواضع وحنا على غيره، وليس المراد بكونهم أذلة أنهم مهانون، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين.

وقوله: أَعِزَّةٍ جمع عزيز وهو المتصف بالعزة بمعنى القوة والامتناع عن أن يغلب أو يقهر

- **ثالثا- بقوله: (يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)**
- وقوله:يُجاهِدُونَ من المجاهدة وهي بذل الجهد ونهاية الطاقة من أجل الوصول إلى المقصد الذي يسعى إليه الساعى.

وقوله: فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى في سبيل إعلاء دين الله، وإعزاز كلمته وليس في سبيل الهوى أو الشيطان.



أن من صفات هؤلاء القوم- أيضا- أنهم يبذلون أقصى جهدهم في سبيل إعلاء كلمة الله والعمل على مرضاته، وأنهم في جهادهم وجهرهم بكلمة الحق، وحرصهم على ما يرضيه- سبحانه- لا يخافون لوما قط من أى لائم كائنا من كان. لأن خشيتهم ليست إلا من الله وحده.
وعبر- سبحانه- بلومة- بصيغة الإفراد والتنكير، للمبالغة في نفى الخوف عنهم سواء أصدر اللوم لهم من كبير أم من صغير. وسواء أكانت اللومة شديدة أم رفيقة..



59	**وبعد أن حذر- سبحانه- المؤمنين تحذيرا شديدا من موالاة أعدائه.** عقب ذلك **بتوبيخ أهل الكتاب على عنادهم وحسدهم**، ووصفهم بجملة من الصفات القبيحة التي ينأى عنها العقلاء وأصحاب المروءة .-الوسيط- *والمعنى: قل يا محمد على سبيل التوبيخ لأهل الكتاب، والتعجيب من أحوالهم قل لهم: يا أَهْلَ الْكِتابِ. يا من كتابكم عرفكم مواطن الذم هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا أى: ما تعيبون وتنكرون وتكرهون منا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ الذي يجب الإيمان به، والخضوع له، لأنه الخالق لكل شيء، وآمنا بما أنزل إلينا من القرآن الكريم وآمنا بما أنزل من قبل من كتب سماوية كالتوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه قبل إنزال القرآن الكريم.-الوسيط- *لَمَّا حَكَى تعالى عنهم في الآيةِ السَّابقةِ أنَّهم اتَّخذوا دِينَ الإسلامِ هُزوًا ولَعِبًا، أمَرَ بسؤالِهم: ما الذي تَنقِمون من هذا الدِّينِ، وما الذي تَجِدون فيه ممَّا يوجِبُ اتخاذَه هُزوًا ولعبًا ؟! -المحرر-
60	***لما بكَّتَ اللهُ اليهودَ والنصارَى، وأقامَ الحُجَّةَ على هُزُئهِم ولَعِبِهم بما تقدَّم، انتقَل عزَّ وجلَّ إلى ما هو أشدُّ تبكيتًا وتشنيعًا عليهم، بما فيه مِن التذكيرِ بسوءِ حالِهم مع أنبيائهم**، وما كان من جزائِهم على فِسقِهم، وتمرُّدِهم بأشدِّ ما جازَى اللهُ تعالى به الفاسقينَ الظَّالِمِين لأنفسِهم، وهو اللَّعنُ والغضَب، والمسخُ الصوريُّ أو المعنويُّ، وعبادةُ الطاغوتِ .-ابن جزي- **وأيضًا لمَّا ذكر أنَّ أهلَ الكتابِ يعيبونَ المسلمينَ بالإيمانِ باللّهِ ورُسُلِه- ذكر عيوبَ أهلِ الكتابِ في مقابلةِ ذلك ردًّا عليهم.** –المنار-
61	****ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك بعض مظاهر نفاقهم وخداعهم** فقال: وَإِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِوَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ. *ولَمَّا تَمَّ ذَلِكَ عَطَفَ - سُبْحانَهُ - عَلى ﴿وإذا نادَيْتُمْ إلى الصَّلاةِ﴾ [المائدة:٥٨]؛ قَوْلَهُ - دالًّا عَلى اسْتِحْقاقِهِمْ لِلَّعْنِ؛ وعَلى ما أخْبَرَبِهِ مِن شَرِّهِمْ؛ وضَلالِهِمْ؛ بِما فَضَحَهم بِهِ مِن سُوءِ أعْمالِهِمْ؛ دَلالَةً عَلى صِحَّةِ دِينِ الإسْلامِ؛ بِإطْلاعِ شارِعِهِ - عَلَيْهِ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامُ - عَلى خَفايا الأسْرارِ. –البقاعي- *-عِلمُ اللهِ بما يكتم أعداؤه فيه تطمينٌ لأوليائه الذين سيحفظهم من كيد الكائدين ومكر الماكرين. *قال الآلوسى: نزلت كما قال قتادة والسدى- في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهرون له الإيمان والرضا بما جاء به نفاقا. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. والضمير في جاؤُكُمْ يعود على اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم. –الوسيط-

الجزء السادس — سورة المائدة ٥

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ

٥٨←(٤)→٦١

لَمَّا حَكَى اللهُ أن الكفَّارَ اتَّخذُوا دِينَ المسلمينَ هُزُوًا ولعبًا، ذكَرَ هنا بَعضَ ما يتَّخِذُونه هُزُوًا ولعبًا وهو الصَّلاة، ثُمَّ أمَرَ بسؤالِهم: ماذا تعيبُون علينا؟! وبَيَّنَ أنَّهم أولى بالعَيب.

ومَعْنى قَوْلِهِ: ﴿وقَدْ دَخَلُوا بِالكُفْرِوهم قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أنَّ الإيمانَ لَمْ يُخالِطْ قُلُوبَهم طَرْفَةَ عَيْنٍ، أيْ هم دَخَلُوا كافِرِينَ وخَرَجُوا كَذَلِكَ، لِشِدَّةِ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ، فالمَقْصُودُ اسْتِغْراقُ الزَّمَنَيْنِ وما بَيْنَهُما. –ابن عاشور-

62	**ولَمّا كَذَّبهم في دَعْوى الإيمانِ؛ أقامَ - سُبحانَهُ - الدَّليلَ على كُفْرِهِم.**-البقاعي- *ثم حكى- سبحانه- لونا آخر من رذائلهم.-الوسيط- *(لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) تذييل قصد به تقبيح أعمالهم التي يأباها الدين والخلق الكريم. وهذه الجملة هي حكم من الله- تعالى- عليهم بذم أعمالهم. وقد جمع- سبحانه- في حكمه بين صيغة الماضي كانُوا وصيغة المضارع يَعْمَلُونَ للإشارة إلى أن هذا العمل القبيح كان منهم في الماضي، وأنهم قد استمروا عليه في حاضرهم ومستقبلهم بدون توبة أو ندم. -الوسيط-
63	***ثم وبخ- سبحانه- رؤساء هؤلاء اليهود على سكوتهم على المنكر** -الوسيط- *توبيخ منافقي اليهود ثم علماءهم. *ولَمّا كانَ المُنافِقُونَ مِنَ الأُمِّيِّينَ وأهْلِ الكِتابِ قَدْ صارُوا شَيْئًا واحِدًا في الِانْحِيازِ إلى المُصارِجِينَ مِن أهْلِ الكِتابِ؛ فَأنْزَلَ فِيهِمْ - سُبْحانَهُ - هَذِهِ الآياتِ؛ عَلى وجْهٍ يَعُمُّ غَيْرَهُمْ؛ حَتّى تَبَيَّنَتْ أحْوالُهُمْ؛ و انْكَشَفَ زَيْغُهُمْ؛ ومحالُهم - أنْكَرَ- عَلى مَن يُودِعُونَهم أسْرارَهُمْ؛ ويَمْنَحُونَهم مَوَدَّتَهم وأخْبارَهُمْ؛ مِن عُلَمائِهِمْ؛ وزُهّادِهِمْ - عَدَمَ أمْرِهِمْ بِالمَعْرُوفِ؛ ونَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ؛ لِكَوْنِهِمْ جَدِيرِينَ بِذَلِكَ؛ لِما يَزْعُمُونَهُ مِنَ اتِّباعِ كِتابِهِمْ. –البقاعي- *والمعنى: إن هؤلاء اليهود دأبهم المسارعة إلى اقتراف الآثام وإلى أكل المال الحرام، فهلا ينهاهم علماؤهم عن هذه الأقوال الكاذبة الباطلة، وعن تلك المآكل الخبيثة التي أكلوها عن طريق السحت. والسحت- كما سبق أن بينا- هو المال الحرام كالربا والرشوة. سمى سحتا من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة أى مقطوعها. أو لأنه يذهب فضيلة الإنسان ويستأصلها. واليهود أرغب الناس في المال الحرام وأحرصهم عليه. **وقد وبخ اللّه- تعالى- علماء اليهود وفقهاءهم على عدم نهيهم لهم عن قولهم الإثم وأكلهم السحت**، لأن هاتين الرذيلتين هما جماع الرذائل، إذ القول الباطل الكاذب إذا ما تعود عليه الإنسان هانت عليه الفضائل، وقال في الناس ما ليس فيهم بدون تحرج أو حياء. وأكل السحت يقتل في نفسه المروءة والشرف، ويجعله يستهين بحقوق الناس وأموالهم. **ولقد ألف علماء اليهود أكل أموال الناس بالباطل بدعوى أن هذا الأكل سيغفره اللّه لهم**. ألا ترى قول الله- تعالى-: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا

قرآنا عجبا

٦٢ ⟵ (٣) ⟵ ٦٤

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ أنَّهم أولى بالعَيبِ ذكرَ هنا بعضَ معايبِهم، ثُمَّ بيانُ سوءِ أدبِ اليهودِ معَ اللهِ لمَّا وصفُوه بالبخلِ، وردُّ اللهِ عليهم، وبيانُ أنَّهم دعاةُ فتنةٍ ومشعلُو حروبٍ.

وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

١١٨ — وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ

٦٠- ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاء، وعقوبة، ﴿الطَّاغُوتَ﴾: كُلّ ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ، ٦٢- ﴿السُّحْتَ﴾: الحرام؛ ومنه الرّشوة والرّبا.
٦٤- ﴿مَغْلُولَةٌ﴾: محبوسة عن فعل الخير.

(٥٨) من ذكرك بالصّلاة لا تُقابله بالهزء والسّخرية؛ فقد ذمّ الله ذلك على قوم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾.
(٦٤) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ثم يمهلهم ويرزقهم. (٦٤) ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ونحن صامتون لا ندعو؟! يا للخسارة.

٦٠: الحج [٧٢]، النساء [٩٣]، ٦١: آل عمران [١٦٧]، ٦٢: المائدة [٨٠]، المائدة [٧٩]، ٦٤: المائدة [٦٨].

قوله: لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقوله: لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ: فيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ؛ فإنَّه لَمَّا ذكَر قولَه: وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ختَم بقولِه: يَعْمَلُونَ، ولَمَّا ذكَر قولَه: لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ... ختَم بقولِه: يَصْنَعُونَ؛ وذلك لأنَّ في الأُولى مَعاصِي العوامِّ، وهي مِن قَبيلِ ما يَحصُل بالطَّبعِ؛ لأنَّه اندفاعٌ مع الشَّهوةِ بلا بَصيرةٍ، أمَّا الثانيةُ فهي مَعصيةُ العلماءِ بترْك النَّهي عن المنكَرِ والأمرِ بالمعروفِ، وهذا مِن قَبيلِ الصناعة المتكلَّفة لفائدةٍ للصانعِ فيها، يلتمسها ممَّن يَصنَعُ له: فما ترَكَ العلماءُ النهيَ عن المنكَرِ وهم يعلمون ما أخَذ اللهُ عليهم من الميثاقِ، إلَّا تكلُّفًا لإرضاءِ النَّاس، وتحاميًا لتَنفيرِهم منهم؛ فهو إيثارٌ لرِضا النَّاسِ على رِضوانِ اللهِ وثَوابِه، والأقربُ أن يكونَ يَصْنَعُونَ مِن الصُّنع، لا مِن الصِّناعة، وهو العمَلُ الذي يُقدِّمه المرءُ لغيرِه يُرضيه به ، والصُّنع أيضًا عَملُ الإنسانِ بعدَ تدرُّبٍ فيه، وتَروٍّ وتحرِّي إجادةٍ؛ ولذلك ذُمَّ به خَواصُّهم (الرَّبَّانيُّون والأحْبار)، ولأنَّ ترْكَ الحِسْبةِ أقبحُ من مُواقعةِ المعصيةِ؛ لأنَّ النفسَ تلتذُّ بها وتَميل إليها، ولا كذلك ترْكُ الإنكارِ عليها، فكان جديرًا بأبلغِ الذمِّ .

- والجمْع بين صِيغتَي الماضي كَانُوا والمستقبل يَصْنَعُونَ؛ للدِّلالةِ على الاستمرارِ–المحرر-.

وقال ابن جرير: كان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها .

وقال ابن كثير: روى الإمام أحمد عن جرير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي، هم أعزمنه وأمنع، ولم يغيروا، إلا أصابهم الله منه بعذاب.



(64)

سب اليهود للمولى عز وجل

يتواصل الحديث عن أهل الكتاب وفسادهم. وكراهيتهم للمسلمين، والآن يأتي تطاولهم على الحق بالشتم.

قال ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس: يا محمد إن ربك بخيل لا ينفق. فأنزل الله هذه الآية .

وقد أضاف- سبحانه- المقالة إلى اليهود جميعا، لأنهم لم ينكروا على القائل ما قاله ورضوا به.

وقال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء وأصحابه. فقد كانت لهم أموال فلما كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قل ما لهم، فقالوا ما قالوا.

وقيل: إنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في فقروقلة مال وسمعوا مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً قالوا: إن إله محمد بخيل. -الوسيط-

64	وبذلك نرى هذه الآيات الكريمة قد وبخت اليهود على حسدهم للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، ووصفتهم بجملة من الصفات الذميمة حتى يحذرهم المؤمنون، ويجعلوا ولاءهم لله ولرسوله ولإخوانهم في العقيدة والدين. **ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك لونا آخر من سوء معتقد اليهود، وخبث طويتهم، وسوء أدبهم مع الله.بعد سوء الأدب مع الناس** *ولَمّا لَمْ تَزَلِ الدَّلائِلُ عَلى إبْطالِ دَعْوى أهْلِ الكِتابِ في البُنُوَّةِ والمَحَبَّةِ تَقُومُ؛ وجُيُوشُ البَراهِينِ تُنْجِدُ؛ حَتّى انْتَشَبَتْ فِيهِمْ سِهامُ الكَلامِ أيَّ انْتِشابٍ؛ قالَ (تَعالى) - مُعَجِّبًا مِن عامَّتِهِمْ؛ بَعْدَ تَعْيِينِ خاصَّتِهِمْ؛ مُعْلِمًا بِأنَّهم لَمْ يَقْنَعُوا بِالسُّكُوتِ عَنِ المُنْكَرِ حَتّى تَكَلَّمُوا بِأنْكَرِهِ؛ مُشِيرًا إلى سُفُولِ رُتْبَتِهِمْ؛ ودَناءَةِ مَنزِلَتِهِمْ؛ بِأداةِ التَّأْنِيثِ :- ﴿وقالَتِ اليَهُودُ﴾.-البقاعي- *عَطْفٌ عَلى جُمْلَةِ ﴿وإذا جاءُوكم قالُوا آمَنّا﴾ [المائدة: ٦١] **فَإنَّهُ لَمّا كانَ أُولَئِكَ مِنَ اليَهُودِ والمُنافِقِينَ انْتَقَلَ إلى سُوءِ مُعْتَقَدِهِمْ وخُبْثِ طَوِيَّتِهِمْ لِيُظْهِرَ فَرْطَ التَّنافِي بَيْنَ مُعْتَقَدِهِمْ ومُعْتَقَدِ أهْلِ الإسْلامِ**، وهَذا قَوْلُ اليَهُودِ الصُّرَحاءِ غَيْرِ المُنافِقِينَ فَلِذَلِكَ أُسْنِدَ إلى اسْمِ (اليَهُودِ) .-ابن عاشور-

وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٦٢←(٣)←٦٤

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ أنَّهم أولى بالعَيبِ ذكرَ هنا بعضَ معايبِهم، ثُمَّ بيانُ سوءِ أدبِ اليهودِ معَ اللهِ لمَّا وصفُوه بالبخلِ، وردُّ اللهِ عليهم، وبيانُ أنَّهم دعاةُ فتنةٍ ومشعلُو حروبٍ.

٦٠- ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاء، وعقوبة، ﴿الطَّاغُوتَ﴾: كُلُّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، ٦٢- ﴿السُّحْتَ﴾: الحرام؛ ومنه الرشوة والربا، ٦٤- ﴿مَغْلُولَةٌ﴾: محبوسة عن فعل الخير.

(٥٨) من ذكرك بالصلاة لا تقابله بالهزء والسخرية؛ فقد ذم الله ذلك على قوم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾.

(٦٤) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ثم يمهلهم ويرزقهم. (٦٤) ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ونحن صامتون لا ندعو؟! يا للخسارة.

٦٠: الحج [٧٢]، النساء [٩٣]، ٦١: آل عمران [١٦٧]، ٦٢: المائدة [٨٠]، المائدة [٧٩]، ٦٤: المائدة [٦٨].



(65-66)
لو أنهم آمنوا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

٦٥←(٢)←٦٦
لمَّا بالَغَ الله في ذمِّ أهلِ الكتابِ، بيَّن هنا أنهم لو آمنوا واتَّقوا لوجدوا سعادات الآخرة والدنيا.

فالتوراة والإنجيل العمل بها معطل، فلم ينتفعوا بها، مع هذا (في أهل الكتاب أمة مقتصدة) معتدلة وسطية في دينها لا تفريط ولا إفراط بين بين ولكن الأكثر منهم فاسقون.

الآية	التفسير
65	**لَمّا بالَغَ اللّهِ تعالى في ذمِّ أهلِ الكتابِ، وفي تَهجينِ طريقتِهم؛ بَيَّن أنَّهم لو آمَنوا واتَّقَوْا لوجَدوا سعاداتِ الآخرةِ والدُّنيا** .-الرازي- *و أيضًا لَمّا أثبتَ بقوله: وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا **أنَّهم كانوا كَفرةً قبل إتيانِ هذا الرسولِ عليه السَّلامُ، وكرَّر ما أعَدَّه لهم من الخِزْيِ الدائمِ على نحوِ ما أخبَرَهم به كتابُهم؛ وعَظَّمهم ورَجَّاهم سبحانه؛ لئَلَّا ييئسوا من رَوحِ اللّهِ** على عادةٍ منه في رحمتِه لعبادِه، ور أفتِه بهم ، فقال تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا.-البقاعي-
66	*لها علاقة ب64 ولَمّا كانَ المَعْنى: ما فَعَلُوا ذَلِكَ؛ فَألْزَمْناهُمُ الخِزْيَ في الدُّنْيا؛ والعَذابَ الدّائِمَ في الآخِرَةِ؛ وكانَ هَذا إجْمالًا لِحالَتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ والأُخْرَوِيَّةِ؛ وكانَ مَحَطُّ نَظَرِهِمُ الأمْرَ الدُّنْيَوِيَّ؛ رَجَعَ - بَعْدَ إرْشادِهِمْ إلى إصْلاحِ الحالَةِ الأُخْرَوِيَّةِ؛ لِأنَّها أهَمُّ في نَفْسِها - إلى سَبَبِ قَوْلِهِمْ تِلْكَ الكَلِمَةَ الشَّنْعاءَ؛ والدّاهِيَةَ القَبِيحَةَ الصَّلْعاءَ؛ وهو تَقْتِيرُ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ؛ وبَيَّنَ أنَّ السَّبَبَ إنَّما هو مِن أنْفُسِهِمْ. –البقاعي- *لَمَّا رغَّبهم اللهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ في **مَوعودِ الآخِرة؛** مِن تَكفيرِ السيِّئاتِ، وإدخالِهم الجَنَّة- رغَّبهم عقبَ ذلك في **موعودِ الدُّنيا**؛ ليجمَعَ لهم بين خَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرَة.-المحرر- *مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ. لَمَّا كان ما مضى قبلَ هذه الآيةِ مِن ذمِّ أهلِ الكتابِ ربَّما أَفهَمَ أنَّه لِكُلِّهم، قال- مستأنفًا جوابًا لِمَن يسألُ عن ذلك. –المحرر-



عصمة الرسول ﷺ : (67 - 69)

بعد الحديث عن الاستهزاء بالدين وشتم الله عزوجل يأتي الحديث لرسول الله ﷺ أن يبلغ الرسالة مها وجد في طريقه من إساءات وتجريح. هذا الدين الذي جاء الكتاب منزلاً به، كل أوامر الله ونواهيه طلب من رسوله أن يبلغها للناس، كل الناس، فإن لم يفعل النبي ﷺ ما أمربه من بلاغ خوفاً من أحد، أو جماعة أو تهاوناً - وحاشاه – فما بلغ الرسالة ولا أدى ما أمربه، والله يضمن لرسوله ﷺ (العصمة) فلا تمتد إليه يد بقتل ولا تمتد إليه يد بضرفهو آمن بحراسة الله له، سالم برعاية الله له، فليمض وقد تحققت العصمة له .

(إن الله لا يهدي القوم الكفرين) فعلى الرسول البلاغ، أما الهداية فمن الله، والله لا يهدي بعد أن أمر الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة، وبلغ الرسول ﷺ يأمره ربه أن يقول لأهل القوم الذين اختاروا طريق الكفر.

67	*لَمَّا قال تعالى: لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ... وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وعَلِم أنَّ مَن أُريدتْ سَعادتُه يُؤمِنُ ولا بدَّ، ومَن أُريدتْ شقاوتُه لا يُؤمِنُ أصلًا، وكان ذلك ربَّما أدَّى إلى الفُتورِ عن الإبلاغ؛ لذا أمَرَالله تعالى نبيَّه بالإبلاغِ وحثَّه عليه -البقاعي- **وأيضًا لَمَّا حَكَى اللَّهِ تعالى في الآياتِ السَّابقةِ ما كان عليه أعداءُ الإسلامِ** - سواء مِن أهلِ الكتاب من اليهودِ والنَّصارى، أو مِن المنافقين- مِن دَسائسَ، ومِن استهزاءٍ بتعاليمِ الإسلامِ، ومِن حِقدٍ على المؤمنين، ومِن سوءِ أدبٍ مع الله، وكان الفريقان متظاهرَين على الرسول صلى الله عليه وسلم: فريق مجاهر، وفريق متستر- أتبعَه بتوجيهِ نِداءٍ إلى الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وأمَرَه فيه بأنْ **يَمضِيَ في تبليغِ رِسالتِه إلى النَّاسِ، دون أن يَلتفِتَ إلى مكرِ الماكرين**، أو حِقدِ الحاقِدين؛ فإنَّه سبحانه قد حماهُ وعَصَمه منهم. –المحرر-
68	***لَمَّا أمَرَ اللَّهُ تعالى نبيَّه محمدًا صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بالتبليغِ، سواءٌ طابَ للسَّامعِ أو ثَقُل عليه، أمَرَه أنْ يَقولَ لأهلِ الكِتابِ هذا الكلامَ، وإنْ كان ممَّا يَشقُّ عليهم جدًّا.** –المحرر- *ولَمّا أمَرَ- سُبْحانَهُ - بِالتَّبْلِيغِ العامّ؛ أمَرَهُ بِنَوْعٍ مِنهُ عَلى وجْهٍ يُؤَكِّدُ ما خُتِمَتْ بِهِ آيَةُ التَّبْلِيغِ مِن عَدَمِ الهِدايَةِ لِمَن حَتَّمَ بِكُفْرِهِ؛ ويُبْطِلُ - مَعَ تَأْكِيدِهِ - هَذِهِ الدَّعْوى؛ قَوْلَهُمْ: نَحْنُ أبْناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ؛ فَقالَ - مُرَهِّبًا لَهُمْ؛ بَعْدَ ما تَقَدَّمَ مِنَ التَّرْغِيبِ في إقامَتِهِ -: ﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ﴾. – البقاعي-
69	***لما بَيَّنَ اللَّهِ تعالى أنَّ أهلَ الكِتابِ ليسُوا على شيءٍ ما لم يُؤمِنوا؛ بَيَّن أنَّ هذا الحُكمَ عامٌّ في الكلِّ**، و أنَّه لا يَحصُلُ لأحدٍ فضيلةٌ ولا مَنقَبَةٌ إلَّا إذا آمَن باللهِ واليومِ الآخِرِ، وعَمِل صالحًا -الرازي- *ولَمّا كانَ ما مَضى في هَذِهِ السُّورَةِ غالِبًا؛ في فَضائِحِ أهْلِ الكِتابِ؛ لا سِيَّما اليَهُودَ؛ وبَيانِ أنَّهم عَضُّوا عَلى الكُفْرِ؛ ومَرَدُوا عَلى الجَحْدِ؛ وتَمَرَّنُوا عَلى البُهْتِ؛ وعَتَوْا عَنْ أوامِرِالله؛ كانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِأنَّهُ رُبَّما حُدِّثَ في الخاطِرِأنَّهُ إنْ آمَنَ منهم أحَدٌ ما يُقْبَلُ؛ أوْلِأنْ يَقُولُوا هُمْ: لَيْسَ في دُعائِنا حِينَئِذٍ فائِدَةٌ؛ فَلا تَدْعُنا؛ أخْبَرَأنَّ البابَ مَفْتُوحٌ لَهُمْ؛ ولِغَيْرِهِمْ مِن جَمِيعِ أهْلِ المِلَلِ؛ و أنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الإنْسانِ وبَيْنَ أنْ يَكُونَ مِن أهْلِهِ إلّا عَدَمُ الإخْلاصِ؛ فَإذا أخْلَصَ أُذِنَ في دُخُولِهِ؛ ونُودِيَ بِقَبُولِهِ؛ أوْيُقالُ - وهو أحْسَنُ -: لَمّا أخْبَرَعَنْ كَثِيرٍمنهم بِالزِّيادَةِ في الكُفْرِ؛ رَغَّبَ القِسْمَ الآخَرَعلى وجْهٍ يَعُمُّ غَيْرَهُمْ؛ أوْيُقالُ: إنَّهُ لَمّا طالَ الكَلامُ مَعَهم كانَ رُبَّما ظَنَّ أنَّ الأمْرَ- تَرْغِيبًا؛ وتَرْهِيبًا؛ وأمْرًا؛ ونَهْيًا - خاصٌّ بِهِمْ؛ فَوَقَعَ الإعْلامُ بِأنَّهم وغَيْرَهم مِن جَمِيعِ الفِرَقِ في ذَلِكَ سَواءٌ؛ تَشْرِيفًا لِمِقْدارِهَذا النَّبِيِّ الكَرِيمِ؛ بِعُمُومِ الدَّعْوَةِ؛ وإحاطَةِ الرِّسالَةِ؛ فَقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾-البقاعي-

سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

١١٩

٦٧←(٢)←٦٨
بعدَ الحديثِ عن الاستهزاءِ بالدينِ وشتمِ اللهِ سبحانه يأتي الأمرُ لرسولِ اللهِ ﷺ أن يبلِّغَ الرسالةَ مهما وجدَ من إساءاتٍ وتجريحٍ، واللهُ يحميه.

٦٩←(٢)←٧٠
لَمّا بيَّنَ أنَّ أهلَ الكِتابِ ليسُوا على شيءٍ ما لم يؤمنوا بيَّنَ هنا أنَّ هذا الحُكمَ عامٌّ في الكلِّ، ثُمَّ الحديثُ عن =

٦٧- ﴿يَعْصِمُكَ﴾: يحفظك من أذى الناس، ٦٩- ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾: قوم باقون على فطرتهم، ولا دين لهم يتبعونه.
(٦٧) ﴿بَلِّغْ ... وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ البلاغ والدعوة طريق الحفظ والعصمة.
(٧٠) ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ ... كَذَّبُوا﴾ الإيمان لا يكون صادقًا إلا إذا آمن الرجل بما تهواه نفسه وما تكرهه. أما الإيمان بما تهواه النفس وردّ ما لا تهواه فهو عبادة للهوى.
٦٥: الأعراف [٩٦]، ٦٧: المائدة [٤١]، ٦٨: المائدة [٦٤]، ٦٩: البقرة [٦٢]، ٦٩: الحج [١٧]، ٧٠: المائدة [١٢].

- الأمر بالتبليغ والوعد بالعصمة، لا نجاة إلا بالإيمان بالقرآن الكريم : (67- 69) .

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة قبَل نجد، فأدركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في واد كثير العضاه (شجر فيه شوك)، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن رجلا أتاني و أنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟، قال: قلتُ: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟، قال: قلت: الله، فشام السيف (رده في غمده) فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يعاقبه وجلس) رواه البخاري .



(77-70)
طبيعة بني إسرائيل

حدثنا الله تعالى عن طبيعة بني إسرائيل التي لا تلتزم المواثيق ولا العهود المبرمة معهم والتي أخذها الله تعالى على الاثني عشر نقيباً منهم وغيرهم من الرسل، لم يلتزموا بها ولم يوفوا وحسب بنو إسرائيل أن إمهال الله لهم أن ليس وراءه عقاب فزادوا التمادي في التعامي والتصامم،

ولكن الله يمهل ولا يهمل وهم تحت رقابة الله تعالى، ورصده – وهو بصير بما يعملون.

70	*لَمَّا كانتِ البِشارةُ في الآيةِ السابقةِ مُوجبةً للدُّخول في الإيمانِ، والتعجُّبِ ممَّن لم يُسارعْ إليه، وكان أكثرُ أهلِ الكتاب إنَّما يُسارِعون في الكُفرِ، كان الحالُ مقتضيًا لتذكُّرِ ما مضَى مِن أخْذِ الميثاقِ عليهم، وزيادةِ العَجَبِ منهم مع ذلِك، **فأعادَ سبحانه الإخبارَ به مؤكَّدًا له**؛ تحقيقًا لأمْره، وتفخيمًا لشأنه، **مُلتفِتًا مع التذكيرِ بأوَّلِ قَصصِهم في هذه السُّورة إلى أوَّلِ السُّورة أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1]**، فقال: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا. أي: واللهِ لقدْ أخَذْنا على اليهودِ عهدًا ثَقيلًا مؤكَّدًا، بالإيمانِ باللهِ تعالى وتوحيدِه، والقيامِ بما أوجبَه عليهم، وأرسَلْنا إليهم بذلك رُسلًا، يَتَوالَون عليهم بالدَّعوة، ويتعاهدونهم بالتوجيهِ، كما قال سبحانه: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [المائدة: 12].-المحرر-

- الأمر بالتبليغ والوعد بالعصمة، لا نجاة إلا بالإيمان بالقرآن الكريم : (67- 69) .





71	عُطِفَ عَلَى قَوْلِهِ (كَذَّبُوا) و(يَقْتُلُونَ) **لِبيانِ فَسادِ اعْتِقادِهِمُ النّاشِئِ عَنْهُ فاسِدُ أعْمالِهِمْ**، أيْ فَعَلُوا ما فَعَلُوا مِنَ الفَظائِعِ عَنْ تَعَمُّدٍ بِغُرُورٍ، لا عَنْ فَلْتَةٍ أوْ ثائِرَةِ نَفْسٍ حَتّى يُنِيبُوا ويَتُوبُوا-ابن عاشور-

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ.

أي: وظنَّ بنو إسرائيلَ ألّا يترتَّبَ- جرّاءَ ما كانوا يَفعلونَ مِن نَقضِ المواثيقِ، وتكذيبِ رُسلِ الله تعالى وقتْلِهم- شرٌّ وعُقوباتٌ تَحيقُ بهم .

﴿وحَسِبُوا﴾؛ أيْ: لِقِلَّةِ عُقُولِهِمْ؛ مَعَ مُباشَرَتِهِمْ لِهَذِهِ العَظائِمِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَها شَيْءٌ؛ ﴿ألا تَكُونَ﴾؛ أيْ: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾؛ أيْ أنَّهُ لا يُصِيبُهم بِها عَذابٌ في الدُّنْيا؛ ولا خِزْيٌ في الأُخْرى؛ بَلِ اسْتَحَقُّوا بِأمْرِها؛ فَلا تَعْجَبْ أنْتَ مِن جُرْأتِهِمْ في ادِّعائِهِمْ أنَّهم أبْناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ

فَعَمُوا وَصَمُّوا.

أي: فترتَّبَ على ظنِّهم الفاسدِ هذا: أنِ استمرُّوا على طُغيانهم، فَعَمُوا عن رُؤيةِ الحقِّ، وَصَمُّوا عن سَماعِه، فلا يَسمعونَ حقًّا، ولا يَهتدُون إليه .

ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ.

أي: ثمَّ وفَّقهم اللهُ تعالى للتَّوبةِ، وقَبِلَها منهم، ورفَعَ عنهم الفتنةَ التي عاقَبَهم بها، فأنابوا ورَجَعوا عمَّا كانوا عليه من الهَوى إلى الهُدَى .

ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

أي: ثمَّ بعدَ توبةِ اللهِ تعالى عليهم، واستنقاذِهم من الهَلَكةِ لم يَستمرَّ كثيرٌ منهم على التَّوبةِ، فانقلبوا إلى حالِهم القبيحةِ الأُولى، وعادوا إلى ضلالِهم القديمِ، فعَمُوا مجدَّدًا عن رؤيةِ الحقِّ، وصمُّوا عن سماعِه .

واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

أي: إنَّ اللهَ تعالى مُطَّلعٌ على جميعِ أعمالِهم لا يَخفَى عليه شيءٌ منها، ويُجازيهم عليها يومَ القيامةِ .



72	*لَمَّا تَكلَّم اللهُ عن **اليهودِ** في الآياتِ السَّابقةِ، شرَعَ في الكلامِ هاهنا عن **النَّصارى** -المحرر- *ولَمّا أخْبَرَ(تَعالى) بِفَسادِ أعْمالِهِمْ؛ دَلَّ عَلى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ - مُسْتَفْتِحًا؛ مُبَيِّنًا مِن حالِ النَّصارى ما بَيَّنَ مِن حالِ اليَهُودِ؛ ومُؤَكِّدًا لَخَتْمِ آيَةِ التَّبْلِيغِ بِما يَنْقُضُ دَعْواهم في البُنُوَّةِ؛ والمَحَبَّةِ. –البقاعي- **ارتباطها بالآية 18** *يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.-السعدي- *ثم حكى- سبحانه- ما قاله عيسى في الرد على من جعلوه إلها فقال: وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ. –الوسيط- ***ثم حكى- سبحانه- ما قاله عيسى محذرا من الإشراك** فقال: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ. -الوسيط-
73	***وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم**، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين ؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى -رادا عليهم وعلى أشباههم -: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟" تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ثم توعدهم بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. –السعدي- ***ولَمّا انْقَضى هَذا النَّقْضُ؛ وقَدَّمَهُ لِأنَّهُ - كَما مَضى - أشَدُّ؛ أتْبَعَهُ إبْطالَ دَعْوى التَّثْلِيثِ......** **ولَمّا أعْلَمَ بِكُفْرِهِمْ؛ أشارَ إلى إبْطالِهِ**؛ كَما أشارَإلى إبْطالِ الأوَّلِ؛ كَما سَلَفَ؛ بِما لا يَخْفى عَلى أحَدٍ؛ تَحْقِيقًا لِتَلَبُّسِهِمْ بِمَعْنى الكُفْرِ؛ الَّذِي هوسَتْرُما هوظاهِرٌ. –البقاعي- *وقوله: وَما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ بيان للاعتقاد الحق بعد ذكر الاعتقاد الباطل. وقد جاءت هذه الجملة بأقوى أساليب القصروهو اشتمالها على «ما» و«إلا» . مع تأكيد النفي بمن المفيدة لاستغراق النفي. **وأكد- سبحانه- وعيدهم بلام القسم في قوله لَيَمَسَّنَّ** ردا على اعتقادهم أنهم لا تمسهم النار، لأن صلب عيسى- في زعمهم- كان كفارة عن خطايا البشر. **وعبر بالمس للإشارة إلى شدة ما يصيبهم من آلام:** لأن المراد أن هذا العذاب الأليم يصيب جلدهم وهو موضع الإحساس فهم إصابة مستمرة، كما قال- تعالى- في آية أخرى: كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ *ثم بين- سبحانه- سوء عاقبة هؤلاء الضالين الذين قالوا ما قالوا من ضلال وكذب فقال- تعالى-: (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا) - الوسيط-

يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾

٧٢←(٣)←٧٤

لَمَّا تكلَّم اللهُ عن اليهودِ في الآياتِ السَّابقةِ، تكلَّم هاهنا عن النَّصارى، وبَيَّنَ كفرَهم وزعمَهم ألوهيةَ المسيحِ ﷺ، وتوعَّدَهم، ثُمَّ دعاهُم إلى التوبةِ.



المسيح عليه السلام، وتوعَّدهم، ثُمَّ دعاهُم إلى التوبة.

٧٥←(٢)←٧٦

لمَّا توعَّدهم ثُمَّ دعاهُم إلى التوبةِ وبَّخهم هنا ببيانِ بشريةِ عِيسى عليه السلام، فهو يأكلُ الطعامَ ليعيشَ فإن نفدَ الطَّعامُ ماتَ، فهل هذه صفةُ الإلهِ؟!

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ١٢٠

٧١- ﴿فَعَمُوا﴾: أي: عن الحق، ﴿وَصَمُّوا﴾: أي: عن سماع المواعظ، ٧٥- ﴿صِدِّيقَةٌ﴾: قد صدقت تصديقًا جازمًا، ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الضلال.

(٧٢) ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ احذر الشرك؛ فإنه لا تنفع معه طاعة.

(٧٤) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بهذا اللطف وهذه الرحمة يدعو من سبَّه وزعم أن له ولدًا إلى التوبة، ثم يعدهم بالمغفرة إذا تابوا.

(٧٤) ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ استغفر الله الآن. ٧٠: البقرة [٨٣]، البقرة [٨٧]، ٧٢: المائدة [١٧]، ٧٦: الأنبياء [٦٦].

74-وقال ابن كثير: هذا من كرمه- تعالى- وجوده ولطفه ورحمته بخلقه. مع هذا الذنب العظيم، وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة. فكل من تاب إليه تاب عليه.

74	*لَمَّا توعَّدَهم اللهُ تعالى، **أعْقبَ الوعيدَ بالتَّرغيبِ في الهدايةِ**. –ابن عاشور- *ولَمّا كانَ مِن شَأْنِ العاقِلِ أنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلى باطِلٍ؛ فَإنْ وقَعَ ذَلِكَ مِنهُ؛ وشَعُرَ بِنَوْعِ ضَرَرٍ يَأْتِي بِسَبَبِهِ؛ بادَرَ إلى الإقْلاعِ عَنهُ؛ تَسَبَّبَ عَنْ هَذا الإنْذارِ- بَعْدَ بَيانِ العَوارِ- الإنْكارُ عَلَيْهِمْ في عَدَمِ المُبادَرَةِ إلى التَّوْبَةِ؛ إيضاحًا لِأنَّ مَعْنى كَفَرُوا: دامُوا عَلَيْهِ. –البقاعي-
75	*ولَمّا أبْطَلَ الكُفْرَكُلَّهُ؛ بِإثْباتِ أفْعالِهِ؛ مِن إرْسالِهِ؛ و إنْزالِهِ؛ وغَيْرِذَلِكَ مِن كَمالِهِ؛ و أثْبَتَ التَّوْحِيدَ عَلى وجْهٍ عامٍّ؛ أتْبَعَ ذَلِكَ تَخْصِيصَ ما كَفَرَبِهِ المُخاطَبُونَ بِالإبْطالِ؛ فَكانَ ذَلِكَ دَلِيلًا خاصًّا بَعْدَ دَلِيلٍ عامٍّ. –البقاعي- *وقوله (كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ) بيان خواصهما الآدمية بعد بيان منزلتهما السامية عند الله- تعالى- وقد اختيرت هذه الصفة لهما من بين صفات كثيرة كالمشرب والملبس. لأنها صفة واضحة. ظاهرة للناس، ودالة على احتياجهما لغيرهما في مطلب حياتهما، ومن يحتاج إلى غيره لا يكون إلها. –الوسيط- *ففي هذه الجمل الكريمة رد على ما زعمه النصارى في شأن عيسى وأمه بأبلغ وجه وأحكمه، ولذا عجب الله- تعالى- رسوله وكل من يصلح للخطاب من جهلهم وبعدهم عن الحق مع وضوحه وظهوره فقال: انْظُرْكَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أى: يصرفون يقال أفكه يأفكه إذا صرفه عن الشيء. أي: انظر- يا محمد- كيف تبين لهم الأدلة المنوعة على حقيقة عيسى وأمه بيانا واضحا ظاهرا. ثم انظربعد ذلك كيف ينصرفون عن الإصاخة إليها والتأمل فيها لسوء تفكيرهم، واستيلاء الجهل والوهم والعناد على عقولهم. فالجملتان الكريمتان تعجيب لكل عاقل من أحوال النصارى الذين زعموا أن الله هو المسيح ابن مريم، أو أن الله ثالث ثلاثة. مع أنه- سبحانه- أقام لهم الأدلة المتعددة على بطلان ذلك. –الوسيط-
76	***ثم ذكر حقيقة المسيح وأمِّه، الذي هو الحق.** –السعدي- *ثم تابع- سبحانه- حديثه عن ضلال أهل الكتاب وجهالتهم فأمررسوله- صلى الله عليه وسلم أن يوبخهم على عنادهم وغفلتهم وأن يواصل دعوتهم إلى الدين الحق. –الوسيط- *لَمّا بيَّن تعالى **بدَليلِ النَّقلِ والعقلِ انتفاءَ الإلَهيَّةِ عن عِيسى عليه السَّلام**، وكان قد توعَّدَ مَن زعَم ذلك، ثمَّ استدْعاهم للتوبةِ، وطلبِ الغُفرانِ- أنكرَعليهم، **ووبَّخهم مِن وجهٍ آخَرَ، وهو عجزُ عِيسى عليه السلام، وعدَمُ اقتدارِه على دفْعِ أيِّ ضررٍ، وجَلْبِ أيِّ نفْعٍ، وأنَّ مَن كانَ لا يَدفَعُ عن نفْسِه حريٌّ ألَّا يَدفعَ عنكُم**-أبو حيان- *ولَمّا نَفى عَنْهُما الصَّلاحِيَةَ لِرُتْبَةِ الإلَهِيَّةِ لِلذّاتِ؛ أتْبَعَها نَفْيَ ذَلِكَ مِن حَيْثُ الصِّفاتُ؛ فَقالَ - مُنْكِرًا؛ مُصَرِّحًا بِالإعْراضِ عَنْهُمْ؛ إشارَةً إلى أنَّهم لَيْسُوا أهْلًا لِلْإقْبالِ عَلَيْهِمْ. –البقاعي- *وقدم- **سبحانه- الضر على النفع** فقال: ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً لأن النفوس أشد تطلعا إلى دفعه من تطلعها إلى جلب الخير، ولأنهم كانوا يعبدون غيرالله- تعالى- وهمهم الأكبرأن هذا المعبود يستطيع أن يقربهم إلى الله زلفى، وأن يمنع عنهم المصائب والاضرار. -الوسيط-



قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ

٧٧←(١)→٧٧ لمّا بيّن غلوّ النّصارى في عيسى ﷺ نهاهم هنا عن الغلوّ في الدّين =

والمعنى: قل يا محمد لأهل الكتاب الذين تجاوزوا الحدود التي تقرها الشرائع والعقول السليمة، قل لهم يا أهل الكتاب: لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ أى: لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزا باطلا، كأن تعبدوا سواه مع أنه هو الذي خلقكم ورزقكم، وكأن تصفوا عيسى بأوصاف هو برىء منها.

وقل لهم أيضا: وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ أى: ولا تتبعوا شهوات و أقوال قوم من أسلافكم وعلمائكم ورؤسائكم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ أى: قد ضلوا من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بتحريفهم للكتب السماوية وتركهم لتعاليمها جريا وراء شهواتهم وأهوائهم وَأَضَلُّوا كَثِيراً أى أنهم لم يكتفوا بضلال أنفسهم بل أضلوا أناسا كثيرين سواهم ممن قلدهم وو افقهم على أكاذيبهم وقوله: وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ معطوف على قوله قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ.

*ولَمّا قامَتِ الأدِلَّةُ عَلى بُطْلانِ قَوْلِ اليَهُودِ؛ ثُمَّ عَلى بُطْلانِ مُدَّعى النَّصارى؛ ولَمْ يَبْقَ لِأحَدٍ عِلَّةٌ؛ أمَرَهُ ﷺ أنْ يَنْهى الفَرِيقَيْنِ عَنِ الغُلُوِّ بِالباطِلِ في أمْرِ عِيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ -؛ اليَهُودَ؛ بِإنْزالِهِ عَنْ رُتْبَتِهِ؛ والنَّصارى؛ بِرَفْعِهِ عَنْها.-البقاعي- *ثم أرشدهم- سبحانه- إلى طريق الحق، ونهاهم عن الغلو الباطل فقال: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ والغلو مصدر غلا في الأمر: إذا تجاوز الحد. وهو نقيض التقصير. وقد نهى النبي- صلى الله عليه وسلم عن الغلو حتى في الدين، فقد روى الإمام أحمد والنسائي و ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» . وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» . وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون. قالها ثلاثة» «٣» والمتنطعون هم المتشددون المتجاوزون للحدود التي جاءت بها تعاليم الإسلام.-الوسيط-	77

أى أنهم قد ضلوا من قبل البعثة النبوية الشريفة، وضلوا من بعدها عن سَواءِ السَّبِيلِ أى: عن الطريق الواضح الذي أتى به النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو طريق الإسلام وذلك لأنهم لم يتبعوه صلى اللّه عليه وسلم مع معرفتهم بصدقة بل كفروا به حسدا له على ما آتاه اللّه من فضله.
فأنت ترى أنه- تعالى- قد وصفهم- كما يقول الإمام الرازي- بثلاث درجات في الضلال: فبين أنهم كانوا ضالين من قبل، ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة حتى الآن ضالون كما كانوا ولا نجد حالة أقرب إلى البعد من اللّه والقرب من عقابه من هذه الحالة ويحتمل أنهم ضلوا وأضلوا ثم ضلوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال أنه إرشاد إلى الحق



المقطع الرابع:
عقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (78-86)

(78-81) لعنة الأنبياء على الكفرة من بني إسرائيل

(82-86) من يواد و يعادي أهل الإيمان

(87-88) النهي عن الغلو في الدين

لعنة الأنبياء على الكفرة من بني إسرائيل: (78 - 81)

لم تجد الأقوال لتمنع بني إسرائيل عن التعدي على حدود الله والشرك، **فجاء الجزاء لعنةالأنبياء عليهم**

وبنو إسرائيل يرون من يستحل محارم الله، وينتهك الحرمات، ويعيث في الأرض الفساد فلا ينهون عن ذلك، بل يجالسون من يفعل ذلك ولا يستحيون، فلهذا لعنهم الله. وعندهم مع أهل الكفروالفسق، التقاء في التفلت والانحلال والعصيان، ولهذا يتولى بنو إسرائيل كل فاسق وكافرومجرم، يعينونه ويناصرونه. بهذا الفعل سخط الله عليهم وغضب، فعاشوا في عذاب النفس في الدنيا وأعد لهم في الآخرة العذاب الأليم السرمدي. فلذلك أمرنا رسول الله ﷺ ألا نكون كبني إسرائيل فقال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم)(٢).

ﷻ نهاهم هنا عن الغلوّ في الدّين، =
٧٨←(٤)←٨١
= ثُمّ بَيَّنَ سبب لعن الكافرين من بني إسرائيل وطردهم من رحمة الله: عصيانُهم واعتداؤهم على حُرماتِ الله، ولا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر، ويُوالون المشركين.

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ

ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك. وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، و إنما كان السكوت عن المنكر -مع القدرة- موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه -كما يجب اجتناب المعصية- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية. ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها. ومنها: أن ذلك يجرئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أوَّلًا. ومنها: أن - في ترك الإنكار للمنكر- يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية- مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرَّم الله حلالا؟ و انقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟" ومنها: أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، و اقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها. فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

78	*لَمَّا ذكَرَ اللهُ سبحانَه في الآيةِ السابقةِ أنَّهم **قدْ ضَلُّوا مِنْ قبْلُ، دلَّل على ذلِك بلَعْنِهم مِن أنبيائِهم** ، فقال: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. أي: إنَّ اللهَ تعالى قد طَرَدَ كُفَّار بني إسرائيلَ، و أَبْعدَهم عن رَحمتِه بدَعوةِ نبيَّيْهِ داودَ وعِيسى عليهم بذلِك . ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. أي: إنَّ ذلِك اللَّعنَ قدْ وقَع عليهم بسببِ عِصيانهم للهِ تعالى، وظُلمِهم لعبادِه. –المحرر-
79	ثم بَيَّن اللهُ تعالى حالَهم فيما كانوا يَعتمِدونَه في زَمانِهم، مِن عُدوانٍ ومعاصٍ أحَلَّتْ بهم المُثُلاتِ، وأوقعتْ بهم العُقوباتِ.-المحرر- **ثم فسر- سبحانه- عصيانهم وعدوانهم** بقوله كانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ، لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ. وقوله يَتَناهَوْنَ من التناهي. قال الفخر الرازي: وللتناهي هاهنا معنيان: أحدهما: وهو الذي عليه الجمهور- أنه تفاعل من النهى. أى: كانوا لا ينهى بعضهم بعضا. روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من رضى عمل قوم فهو منهم. ومن كثر سواد قوم فهو منهم» والمعنى الثاني: في التناهي أنه بمعنى الانتهاء عن الأمر، تناهى عنه إذا كف عنه» *خَص العُلَماءِ مِنهم بزِيادةِ تَهْدِيدٍ؛ لِأَنَّهُمْ: مَعَ كَوْنِهِمْ عَلى المُنْكَرِ؛ لا يَنْهَوْنَ غَيْرَهم عَنْهُ؛ مَعَ أنَّهم أجْدَرُ مِن غَيْرِهِمْ بِالنَّهْيِ؛ فَصارُوا عَلى مُنْكَرَيْنِ شَدِيدَيِ الشَّناعَةِ.-البقاعي-
80	*لَمَّا **وصَفَ اللهُ تعالى أسلافَهم** بما تَقدَّمَ بأنَّهم كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وأخبَرَ أنهم كانوا يُقِرُّون المنكراتِ، ودلَّل على ذلك بأمرِ ظاهرِ منهم، **فوصَف الحاضرينَ** منهم بأنَّهم يَتولَّوْن الكفَّارَ وعبدةَ الأوثانِ. –المحرر- *ولَمّا أخْبَرَ بِإقْرارِهِمْ عَلى المَناكِرِ؛ دَلَّ عَلى ذَلِكَ بِأمْرٍ ظاهِرٍ مِنهُمْ؛ لازِمٍ؛ ثابِتٍ؛ دائِمٍ. –البقاعي-
81	***لَمَّا كانَ تولِّيهم الكفَّارَ قدْ يكون دليلًا على كُفرِهم**؛ لقوله: تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا **أَكَّدَ ذلك الكفر** بقوله: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ.... -البقاعي- *﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على العبد موالاة ربه، وموالاة أوليائه، ومعاداة من كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولايةِ الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط. ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالاةُ أعداء الله.-السعدي-

من يواد ويعادي أهل الإيمان: (82- 86)

بعد أن بين الله تعالى من لعن اليهود من الأنبياء يبين الله تعالى في الآيات الآتية من يواد ويعادي المؤمنين.

يكشف الله تعالى لهذه الأمة حقيقة ما في قلوب اليهود والمشركين من عداوة وبغضاء لأهل الإيمان من هذه الأمة، اليهود يبغضون هذا الدين وهذا النبي الكريم وهذه الأمة بغضاً شديداً.

(ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى) والآية تبين أن في النصارى أتباع عيسي والذين هم على منهجه بأنه عبد الله ورسوله رقة ومودة لأهل الإسلام، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . يشهد الله لهم بأن القسيسين لا يتكبرون، وإنها من شيمتهم التواضع وكذلك رهبانهم وهم العباد. .

يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين، وإلى ولايتهم ومحبتهم، وأبعدهم من ذلك:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيا في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغيا وحسدا وعنادا وكفرا.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ وذكر تعالى لذلك عدة أسباب: منها: أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء متزهدين، وعُبَّادًا في الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين. ومنها: ﴿أنهم لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر.-السعدي-



٨٢←(١)→٨٢

لمَّا ذكرَ موالاةَ اليهودِ للمشركينَ ذكرَ هنا شدَّةَ عداوةِ اليهودِ والمشركينَ للمسلمينَ، وقُربَ النَّصارى الصادقينَ من المسلمينَ.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾

١٢١

٧٧- ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: لا تتجاوزوا، ٨١- ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، ٨٢- ﴿عَدَٰوَةً﴾: بغضاء، ﴿مَّوَدَّةً﴾: حبًا، ﴿قِسِّيسِينَ﴾: علماء النصارى، ﴿وَرُهۡبَانًا﴾: عبَّاد النصارى.

(٧٨، ٧٩) ﴿لُعِنَ ... كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ تأمل عقوبة المجتمع السلبي الذي يرى المنكر ولا ينكره.

(٨٠) ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ... سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ تولي الذين كفروا سبب لسخط الله.

(٨٢) ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ تواضع ولا تكبر. ٧٧: النساء [١٧١]، ٧٩: المائدة [٦٢]، ٨٠: المائدة [٦٢].

82	***لمَّا ذكَرَ اللّهُ تعالى مِن أحوالِ أهلِ الكِتابِ مِن اليهودِ والنَّصارى** ما ذكَرَه في الآياتِ السَّابقةِ؛ **ذكَر في هذه الآيةِ أنَّ اليهودَ في غايةِ العداوةِ مع المسلمينَ؛ ولذلك جعلَهم قُرناءَ للمشركينَ في شِدَّةِ العداوةِ**. بل نبَّه على أنَّهم أشدُّ في العداوةِ من المشركينَ مِن جِهة أنَّه قَدَّم ذِكرَهم على ذِكْر المشرِكينَ. –المحرر- *ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. **لمَّا ذكَرَ اللّهُ تعالى التفاوتَ الحاصِلَ بين اليهودِ والنَّصارى، فقال في حقِّ اليهودِ: أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً، وقال في حقِّ النَّصارى: أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً أعْقَبَ ذلك بعِلَّة هذا التَّفاوتِ**. –المحرر- ***ولَمَّا دَلَّ - كالشَّمْسِ - مَيْلُهم إلى المُشْرِكِينَ دُونَ المُؤْمِنِينَ؛ عَلى أنَّهم في غايَةِ العَداوَةِ لَهُمْ؛ صَرَّحَ (تَعالى) بِذَلِكَ؛ عَلى طَرِيقِ الِاسْتِنْتاجِ؛ فَقالَ - دالًّا عَلى رُسُوخِهِمْ في الفِسْقِ** :- ﴿لَتَجِدَنَّ أشَدَّ النّاسِ﴾؛ أيْ: كُلِّهِمْ؛ ﴿عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أيْ: أظْهَرُوا الإقْرارَ بِالإيمانِ؛ فَكَيْفَ بِالرّاسِخِينَ فِيهِ؟! ﴿اليَهُودَ﴾؛ قَدَّمَهم لِأنَّهم أشَدُّ الفَرِيقَيْنِ؛ لِأنَّهُ لا أقْبَحَ مِن ضالٍّ عَلى عِلْمٍ؛ ﴿والَّذِينَ أشْرَكُوا﴾؛ لِما جَمَعَهم مِنَ الِاسْتِهانَةِ بِالأنْبِياءِ؛ هَؤُلاءِ جَهْلًا؛ وأُولَئِكَ عِنادًا؛ وبَغْيًا؛ فَعُرِفَ أنَّ مَن صَدَقَ في إيمانِهِ لا يُوالِيهِمْ بِقَلْبِهِ؛ ولا بِلِسانِهِ؛ وأنَّهم ما اجْتَمَعُوا عَلى المُوالاةِ إلّا لِاجْتِماعِهِمْ في أشَدِّيَّةِ العَداوَةِ لِمَن آمَنَ؛ فَهَذِهِ الآيَةُ تَعْلِيلٌ لِما قَبْلَها. -البقاعي-

83	*﴿إذا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ، **أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به** فقالوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب. وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾-السعدي-
84	***فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه**، فقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبا للمسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه.-السعدي-
85	*ولَمَّا ذَكَرَ **قَوْلَهُمُ** الدّالَّ عَلى حُسْنِ **اعْتِقادِهِمْ**؛ وجَمِيلِ اسْتِعْدادِهِمْ؛ ذَكَرَ **جَزاءَهم** عَلَيْهِ.-البقاعي-
86	*ولما ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين.-السعدي- *لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى في آخِرِ الآيةِ السَّابقة أنَّ ما أثابَ به أولئك النَّصارى، الذين آمنوا بالرَّسولِ الأعظمِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، **هو جزاءُ جميعِ المحسِنين عندَه**، الذين آمنوا كإيمانِهم، وخشَعوا للحقِّ كخُشُوعِهم- عقَّب عليه بذِكْر **جزاءِ المُسيئينَ إلى أنفُسِهم بالكُفْر والتكذيبِ**؛ على سُنَّةِ القرآنِ في الجَمْعِ بين الوعدِ والوعيدِ. –المحرر-

قال القرطبي-وَهَذِهِ أَحْوَالُ الْعُلَمَاءِ يَبْكُونَ وَلَا يُصْعَقُونَ، وَيَسْأَلُونَ وَلَا يَصِيحُونَ، وَيَتَحَازَنُونَ وَلَا يَتَمَوَّتُونَ، كما قال تعالى: " اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ(٢) "[الزمر: ٢٣].



وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

٨٣→(٤)→٨٦

لما ذكر الله قُرب النصارى الصادقين من المسلمين بيّن هنا حالهم إذا سمعوا القرآن، ثم ذكر جزاءهم وجزاء المحسنين، ثم جزاء الكافرين.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة:83]

أي شخص يقرأ الآية السابقة يعلم أن هذا الذي فاض في عيونهم من الدموع حين سمعوا القرآن أنه شيء فاق قدرتهم على الاحتمال ..

هذا السر الذي في القرآن هو الذي استثار تلك الدمعات التي أراقوها من عيونهم حين سمعوا كلام الله ..

لماذا تساقطت دمعاتهم؟ إنها أسرار القرآن..

هذه الظاهرة البشرية التي تعتري بني الإنسان حين يسمعون القرآن ليست مجرد استنتاج علمي أوملاحظات نفسانية..

بل هي شيء أخبرنا الله أنه أودعه في هذا القرآن .. ليس تأثير القرآن في النفوس والقلوب فقط ..

بل - أيضاً - تأثيره الخارجي على الجوارح .. الجوارح ذاتها تهتز وتضطرب حين سماع القرآن..

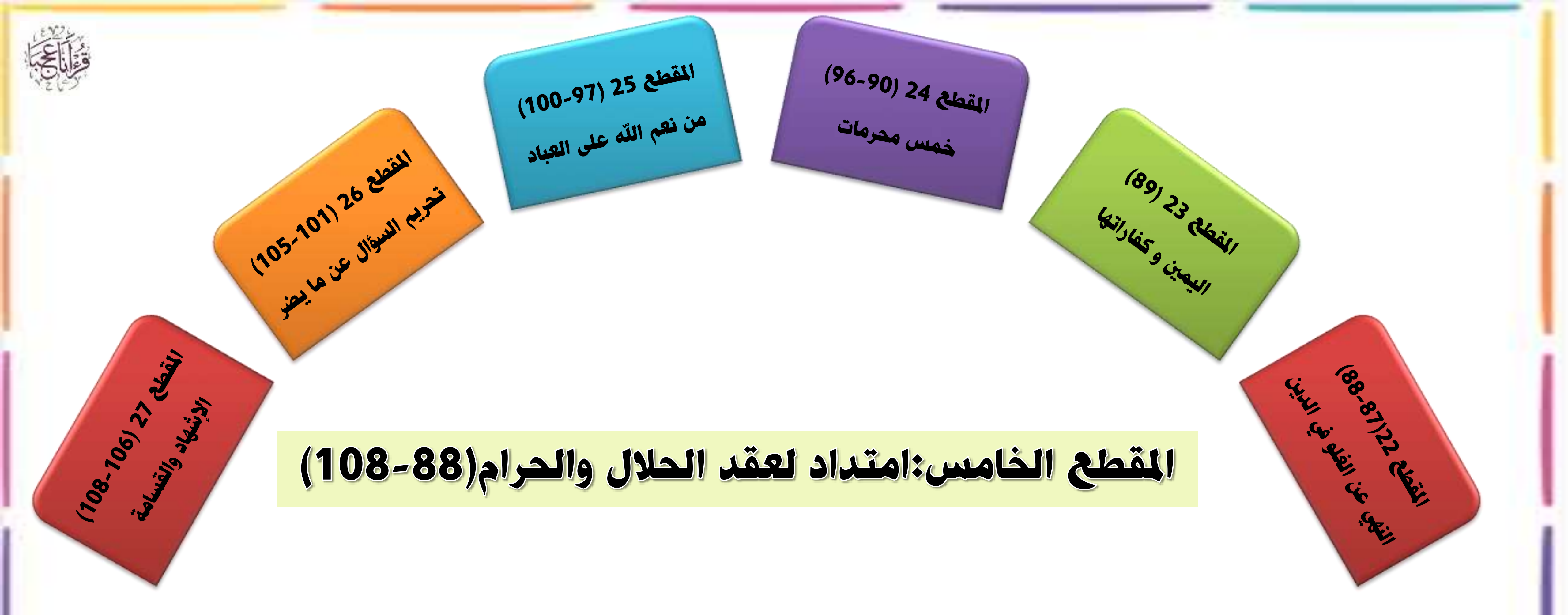
قشعريرة عجيبة تسري في أوصال الإنسان حين يسمع القرآن ..

يقول تعالى:﴿اللَّهُ نزل أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23]

لاحظ كيف يرسم القرآن مراحل التأثر، تقشعر الجلود، ثم تلين، إنها لحظة الصدمة بالآيات التي يعقبها الاستسلام الإيماني، بل والاستعداد المفتوح للانقياد لمضامين الآيات.. ولذلك مهما استعملت من (المحسّنات الخطابية) في أساليب مخاطبة الناس و إقناعهم فلا يمكن أن تصل لمستوى أن يقشعر الجلد في رهبة المواجهة الأولى بالآيات، ثم يلين الجلد والقلب لربه ومولاه، فيستسلم وينقاد بخضوع غير مشروط..

وفي مقابل ذلك كله .. حين ترى بعض أهل الأهواء يسمع آيات القرآن ولا يتأثر بها، ولا يخضع لمضامينها، ولا ينفعل وجدانه بها، بل ربما استمتع بالكتب الفكرية والحوارات الفكرية وتلذذ بها وقضى فيها غالب عمره، وهو هاجر لكتاب الله يمر به الشهر والشهران والثلاثة وهو لم يجلس مع كتاب ربه يتأمله ويتدبره ويبحث عن مراد الله من عباده، إذا رأيت ذلك كله؛ فاحمد الله يا أخي الكريم على العافية، وتذكر قول الله سبحانه ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 22]

إبراهيم السكران



بدأ الله- هذه السورة بآيات من أحكام الحلال والحرام والنسك.

ثم جاء بهذا السياق الطويل في بيان أحوال أهل الكتاب ومحاجتهم، فكان أوفى و أتم ما ورد في القرآن من ذلك، ولم يتخلله إلا قليل من الأحكام. وهاتان الآيتان وما بعدهما **عود إلى أحكام الحلال والحرام** والنسك التي بدئت بها السورة.

*أنه- تعالى- ذكر أن النصارى أقرب الناس مودة للذين آمنوا وذكر من سبب ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا **فكان من مقتضى هذا أن يرغب المؤمنون في الرهبانية ويظن الميالون للتقشف والزهد أنها مرتبة كمال تقربهم إلى الله-** تعالى- وهي إنما تتحقق بتحريم التمتع بالطيبات. **وقد أزال الله- تعالى- هذا الظن وقطع طريق تلك الرغبة** بقوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ

87	***ثم وجه- سبحانه- نداء إلى المؤمنين نهاهم عن تحريم الطيبات التي أحلها الله لهم، وأمرهم أن يتمتعوا بما رزقهم من رزق طيب حلال**.-الوسيط- *لَمَّا تقدَّم الثناء على القِسّيسين والرُّهبان، وكان مِن سُنَّتِهم المبالغةُ في الزُّهدِ، وقدْ أحْدَثوا رهبانيَّةً من الانقطاعِ عن التَّزوجِ، وعن أكْلِ اللُّحومِ، وكثيرٍمن الطيّبات وغيرذلك- نبَّه اللهُ تعالى المؤمنينَ على أنَّ الثناءَ على الرُّهبان والقِسِّيسين بما لهم مِن الفَضائِلِ لا يَقتضي اطِّرادَ الثناءِ على جميع أحوالِهِم الرهبانيَّة.-ابن عاشور- *يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء. والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك.-السعدي-
88	***ثم أمر بضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله** فقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالًا لا سرقة ولا غصبا ولا غيرذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، وكان أيضا طيبا، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث.-السعدي- وبعد أن نهى- سبحانه- عن تحريم الطيبات أمربتناولها والتمتع بها فقال: وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً،
89	***اليمين وكفارتها.** *لَمَّا قال تعالى: لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ...؛ **وكان التحريمُ يقعُ في غالِبِ الأحوالِ بأيمانٍ معزومةٍ**، أو بأيمانٍ تَجري على اللِّسان لقصدِ تأكيدِ الكلامِ، أو تجري بسبب غضبٍ، عقَّب اللهُ تعالى ذلك بقوله : لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ. أي: لا يُعاقِبُكم اللهُ تعالى بكفَّارةٍ تَلزمُكم في الدُّنيا، ولا بعُقوبةٍ تَحُلُّ بكم في الآخِرة، على الأيْمانِ التي صدَرَتْ منكم على وجهِ اللَّغْو، وهي الأيْمانُ التي حلَف بها المُقسِمُ مِن غيرنيَّةٍ ولا قَصْدٍ، أو عقَدَها يظنُّ صِدقَ نفْسِه، فبان الأمرُبخِلافِ ما ظنَّه. -المحرر-

٨٧←(٣)←٨٩

لَمَّا أثنى على القِسِّيسين والرُّهبان وعادتُهم المبالغة في الزُّهد وترك الطيّبات بيَّن هنا أن المسلمين ليسوا مأمورين بذلك، ولمَّا نهى عن تحريم الطيّبات وكان التحريم يقع في غالِب الأحوال باليمين بيَّن أقسام اليمين وكفارته.

بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٥- ﴿فَأَثَٰبَهُمُ﴾: جزاهم. ٨٩- ﴿بِٱللَّغْوِ﴾: ما لا يقصده الحالف؛ كقوله: لا والله، وبلى والله. ﴿عَقَّدتُّمُ﴾: قصدتم عقده بقلوبكم.

(٨٣) بعض النصارى لما سمعوا القرآن ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ وأنت يا مؤمن ؟!

(٨٥) قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾، وقال: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ فقط هي نتيجة لكلمات قيلت، فانتبه لما تقول.

٨٥: الزمر [٣٤]، ٨٦: المائدة [١٠]، الحديد [١٩]، ٨٨: الأنفال [٦٩]، النحل [١١٤]، ٨٩: البقرة [٢٢٥]، البقرة [٢٤٢]، آل عمران [١٠٣].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال، كان: أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء، فنزلت هذه الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وعن أبي قلابة قال: أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا، ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة. ثم قال: «إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واستقيموا» . قال: ونزلت فيهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا الآية وعن أبي طلحة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم، فذكر لهم ذلك فقالوا: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكني أصوم و أفطر، وأصلى و أنام، و أنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني» .

وقد وجه سبحانه النداء للمؤمنين بوصف الإيمان لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم حتى يمتثلوا أوامر الله ونواهيه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ

٩٠←(٤)←٩٣

لَمَّا أحلَّ الله الطيِّبات حرَّم هنا الخبائث: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ثُمَّ بيَّن المفاسد الموجودة في الخمر والميسر، والأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، ونفي الإثم عما شربوه من الخمر قبل تحريمها.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها: ما جاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت فيّ آيات من القرآن، وفيه قال. و أتيت على نفر من الأنصار فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرا وذلك قبل أن تحرم الخمر- قال فأتيتهم في حش- أى بستان- فإذا رأس جزور مشوى عندهم وزق من خمر قال: فأكلت وشربت معهم. قال:

فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال. فأخذ رجل من الأنصار- لحى جمل فضربني به فجرح أنفى، فأتيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأنزل الله- تعالى- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ.. الآيات .

ومنها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار. شربوا حتى ثملوا، فعبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا، جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل هذا بي أخى فلان- وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن- والله لو كان بي رءوفا رحيما ما فعل بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ. إلى قوله: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

90	*قال الرازي: اعلم أن هذا النوع الثالث من الأحكام المذكورة في هذا الموضع- فقد أمر الله المؤمنين بعدم تحريم الطيبات ثم بين حكم الأيمان المنعقدة. **ووجه اتصال هذه الآيات بما قبلها** أنه- تعالى- قال فيما تقدم: لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ إلى قوله: وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً. **ثم لما كان من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر، لا جرم أنه- تعالى- بين أنهما غير داخلين في المحلات بل في المحرمات** *بعد أن بينت الآية الكريمة للمؤمنين ما يجب عليهم إذا ما حنثوا في أيمانهم، وحضتهم على حفظ أيمانهم، لكي ينالوا من الله- تعالى- الرضا والفلاح. *وبعد أن نهى الله المؤمنين عن تحريم ما أحله لهم، وأمرهم بأن يتمتعوا بما رزقهم من خير بدون إسراف أو تقتير، وبين لهم حكم ما عقدوه من أيمان بعد كل ذلك وجه- سبحانه- نداء ثانيا إليهم بين لهم فيه مضار الخمر وأشباهها من الرذائل، وأمرهم باجتنابها. – الوسيط -

ذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره،

والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها،

والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، **فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر**، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها.

فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضارها.

ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو. فأي معصية أعظم و أقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟" فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟" ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضا بقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ لأن العاقل -إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد- انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ.

الجزء السابع — سورة المائدة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ

٩٠←(٤)→٩٣

لَمَّا أحلَّ اللهُ الطيِّباتِ حرَّم هنا الخبائثَ: الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ، ثُمَّ بَيَّنَ المفاسدَ الموجودةَ في الخمرِ والميسرِ، والأمرُ بطاعةِ اللهِ وطاعةِ الرسولِ، ونَفيِ الإثمِ عما شربُوه من الخمرِ قبلَ تحريمِها.

سَببُ النُّزول:

عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنتُ ساقِيَ القومِ في مَنزِلِ أبي طَلحةَ، وكان خمرُهم يومئذٍ الفَضيخَ فأمررسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مناديًا يُنادي: ألَا إنَّ الخمرَ قد حُرِّمت، قال: فقال لي أبو طَلحةَ: اخرُجْ فأهرِقْها. فخرجْتُ فهرَقْتُها فجرَتْ في سِكَكِ المدينةِ، فقال بعضُ القَوْمِ: قد قُتِل قومٌ وهي في بُطونِهم؛ فأنزَلَ اللهُ: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا الآيَةَ) –رواه البخاري ومسلم-

وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة أنه بعد أن نزل قوله- تعالى- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ الآيات، قال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم، كانوا يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وقد جعله الله رجسا ومن عمل الشيطان؟

فأنزل الله- تعالى-: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا الآية .

قال القرطبي: وهذه الآية وتلك الأحاديث نظير سؤالهم عمن مات إلى القبلة الأولى فنزلت وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ.

الآية	التفسير
91	***ثم أكد سبحانه تحريم الخمر والميسر ببيان مفاسدهما الدنيوية والدينية**. –الوسيط- *لَمَّا أمَرَاللهُ تعالى باجتنابِ الخمروالميسرِ، عقَّب بذِكرنوعينِ من المفسدةِ التي تترتَّبُ على تعاطيها وارتكابِها: **الأول: ما يتعلَّق بالدُّنيا**، وهو قوله: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، **والثاني ما يَتعلَّق بالدِّين** وهو قوله تعالى: وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِاللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ . **سَببُ النُّزول:** عن مُصعَبِ بنِ سَعدٍ، عن أبيه، أنَّه قال: أتيتُ على نفرٍمِنَ الأنصارِوالمهاجرينَ. فقالوا: تعالَ نُطْعِمْك، ونَسْقِك خمرًا، وذلك قبل أنْ تُحرَّم الخمرُ، قال: فأتيتُهم في حَشٍّ- والحَشُّ البُستانُ - فإذا رأسُ جَزورٍمشويٌّ عندهم، وزِقٌّ من خَمْرٍ، قال: فأكلتُ وشَرِبْتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصارَوالمهاجرينَ عندهم، فقُلْتُ: المهاجرون خيرٌمن الأنصارِ، قال فأخَذَ رجلٌ أحدَ لَحْيَي الرَّأْسِ فضرَبَني به، فجرَحَ بأنفي، فأتيتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأخبرتُه، فأنزلَ اللهُ عزَّوجلَّ فِيَّ- يعني: نفسَه - شأنَ الخمرِ: إِنَّمَا الْخَمْرُوَالْمَيْسِرُوَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
92	***لَمَّا كان الخَمْرُ والميسرُ مألوفًا لهم، محبوبًا عندهم، وكان تركُ المألوفِ أمَرَّ مِن ضَربِ السُّيوف؛ أكَّد دعوتَهم إلى اجتنابِه، مُحذِّرًا من المخالفةِ** بقوله (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا. -المحرر-
93	***لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها**. فأنزل الله هذه الآية، وأخبرتعالى أنه ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج و إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ من الخمروالميسرقبل تحريمهما. ولما كان نفي الجناح يشمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانا صحيحا، موجبا لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر. فلا يكفي حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أوفعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، و اتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفرله، ويرتفع عنه الإثم في ذلك. -السعدي-

93-فتكرير التقوى والإيمان هنا لبيان أنه يجب استمرارهم ومواظبتهم على ذلك، مع تمسكهم بما يقتضيه الإيمان والتقوى من فعل الخيروابتعاد عن الشر.

وقوله: ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا معطوف على ما قبله- أيضا- لتأكيد معنى الاستمرارعلى هذه التقوى طول مدة حياتهم مع إحسانهم إلى أنفسهم بالإكثارمن العمل الصالح، وإلى غيرهم بما يستطيعونه من إسداء الخيرإليه.

وقوله: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ تذييل قصد به تأكيد ما قبله من الحض على الإيمان والتقوى والإحسان، ومدح المتمسكين بتلك الصفات الحميدة.

أى: والله- تعالى- يحب المحسنين إلى أنفسهم بإلزامها بالوقوف عند حدود الله، والاستجابة له فيما أمرأونهى أوأحل أوحرم برغبة ومسارعة، وإلى غيرهم بمديد العون إليهم.

فالآية الكريمة من مقاصدها بيان جانب من مظاهر رحمة الله بعباده، ورأفته بهم حيث بين لهم: أن من شرب الخمرأولعب الميسرأوفعل ما يشبههما من محرمات، ثم مات قبل أن ينزل الأمربتحريم هذه الأشياء فإن الله- تعالى- لا يؤاخذه على ذلك. لأن المؤاخذة على الفعل تبدأ من وقت تحريمه لا من قبل تحريمه.

وكذلك الحال بالنسبة لمن وقع في هذه الأشياء قبل أن تحرم فإن الله لا يؤاخذه عليها، و إنما يؤاخذه عليها بعد نزول تحريمها وهذا من فضل الله على عباده، ورحمته بهم.

قبلَ تحريمِها.

٩٤←(٢)←٩٥

بعدَ أن بيّنَ ما أحلَّ وما حرَّم بيّنَ هنا ما حرَّمه في حالٍ دونَ حالٍ، فذكرَ تحريمَ الصيدِ البريّ في حالةِ الإحرامِ بحجٍّ أو عمرةٍ، وبيّنَ كفارةَ ذلك.

﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

١٢٣

٩٠- ﴿وَالْأَنصَابُ﴾: حجارةٌ كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا، ٩٥- ﴿النَّعَمِ﴾: بهيمةُ الأنعام: من الإبل والبقر والغنم.

(٩٠) بكلمةٍ واحدةٍ ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أقلعَ الصحابةُ عن عادةٍ تأصّلت في نفوسهم لعشرات السنين.

(٩٤) لا تعجبْ من سهولةِ الوصولِ للمعصية: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

(٩٥) ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ قالها الله في مَن قتل حمامةً أو صيدًا وهو محرمٌ، فكيف بمن قتل نفسًا بريئةً معصومةً.

٩٢: التغابن [١٢].

94	**وبذلك نرى الآية الكريمة قد طمأنت المؤمنين إلى أن الله- تعالى- لن يؤاخذهم بما تعاطوه من محرمات قبل تحريمها. وأن الواجب عليهم أن يستمروا على مراقبتهم له، وخشيتهم منه حتى يلقوه- عزوجل-. وبعد أن حذر الله- تعالى- المؤمنين من تعاطى المنكرات كالخمروالميسروبين لهم حكم من مات قبل تحريم هذه الأشياء بعد كل ذلك **بين- سبحانه- بشيء من التفصيل بعض الأحكام التي تتعلق بالصيد**.-الوسيط- *لَمَّا أمَرَهم اللهُ تعالى ألّا يُحرِّموا الطيِّباتِ، أخرج منها ما حرَّمَه في حالٍ دون حال، وهو حال الصيد . –المحرر- ***هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدرا، ليطيعوه ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة**، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لابد أن يختبر الله إيمانكم. ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تخفيفا منه تعالى ولطفا، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ أي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، فلا يبقى للابتلاء فائدة. ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علما ظاهرا للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيكف عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل، ممن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ منكم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل.-السعدي- *والتنوين في قوله بِشَيْءٍ للتقليل والتحقير. وإنما امتحنوا بهذا الشيء الصغير، تنبيها إلى أن من لم يثبت ويعصم نفسه عن ارتكاب هذه الأشياء الصغيرة فإنه لن يثبت أمام التكاليف الكبيرة. ويمكن أن يقال، إن التنوين هنا للتعظيم باعتبار الجزاء الأليم المترتب على الاعتداء على الصيد في حال الإحرام.

95	****ثم بين- سبحانه- بعد ذلك طريق معرفة الجزاء، ومآله، وأنواعه**، فقال- تعالى- يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً.-الوسيط- ***ثم صرح بالنهي عن قتل الصيد في حال الإحرام**، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: محرمون في الحج والعمرة، والنهي عن قتله يشمل النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهى المحرم عن أكل ما قُتل أو صيد لأجله، وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالا له قبل الإحرام. وقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ أي: قتل صيدا عمدا ﴿فـ﴾ عليه ﴿جزاء مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به. والاعتبار بالمماثلة أن ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قضوا بالحمامة شاة، وفي النعامة بدنة، وفي بقر الوحش -على اختلاف أنواعه- بقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئا من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئا ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، وذلك الهدي لا بد أن يكون ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يذبح في الحرم. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين. قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشترى بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مُدَّ بُرّ أو نصفَ صاع من غيره. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوما. ﴿لِيَذُوقَ﴾ بإيجاب الجزاء المذكور عليه ﴿وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ذلك ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطيء، كما هو القاعدة الشرعية -أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطئ فليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، [هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والفرق بين هذا وبين التضمين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع الحق فيه لله. فكما لا إثم لا جزاء لإتلافه نفوس الآدميين وأموالهم]



الجزء السابع — سورة المائدة ٥

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا

٩٦←(١)→٩٦
بعدَ تحريمِ الصَّيدِ البَرِّي في الإحرامِ ذكرَ هنا إباحةَ صيدِ البحرِ.

٩٧←(٤)→١٠٠
لَمَّا حرَّم اللهُ الصيدَ على المُحرِمِ، وصارَ الحَرَمُ سببًا لأمنِ الوحشِ والطيرِ، بَيَّنَ هنا أنَّه أيضًا سببٌ لأمنِ النَّاسِ، وحصولِ الخيراتِ، وأنَّ مهمَّةَ الرسولِ البلاغُ.

96	*لَمَّا كانَ الصيدُ يشملُ الصيدَ البَرِّيَّ والبحريَّ، استثنى تعالى الصيدَ البحريَّ، فذَكَر في الآياتِ الماضيةِ حُكمَ صيدِ البَرِّ للمُحْرِم، وذكرهنا حُكمَ صيدِ البَحرِ. –المحرر-
97	*وبعد هذا النهى الشديد للمحرمين عن صيد البروهم على هذه الحالة بين- سبحانه- المنزلة السامية للكعبة التي هي أشرف مكان، وأصلحه لأمان الناس واطمئنانهم كما بين- سبحانه- مكانة الأشهر الحرم وما يقدم فيها من خيرات لسكان الحرم. –الوسيط- *قال الرازي: «اعلم أن اتصال هذه الآية- جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ بما قبلها هو ان الله- تعالى- حرم في الآية المتقدمة الاصطياد على المحرم. فبين أن **الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطير. فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات**، وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة» **(وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ.) لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى ما به القوامُ من **المكان**، أتبعَه ذلك مِن **الزمانِ**. -المحرر-
98	*لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى أنواعَ رَحمتِه بِعِبادِه، ذَكَرَ بعدَه أنَّه شَديدُ العِقابِ؛ لأنَّ الإيمانَ لا يتمُّ إلَّا بالرَّجاء والخوف، ثم ذكَر عَقيبَه ما يدلُّ على الرحمةِ، وهو كونُه غفورًا رحيمًا، وذلك يدلُّ على أنَّ جانبَ الرَّحمة أغلبُ؛ لأنَّه تعالى ذكَر فيما قبلُ أنواعَ رحمتِه وكرمِه، ثم ذكَرَ أنَّه شديدُ العقابِ، ثم ذكَرَعقيبه وصْفَينِ من أوصافِ الرَّحمةِ، وهو كونه غفورًا رحيمًا.-الرازي-

99	*لَمَّا تقدَّمَ الترغيبُ والترهيبُ أخبَرَ تعالى أنَّه كلَّف رسولَه بالتبليغ، وهو توصيلُ الأحكامِ إلى أُمَّته، وهذا فيه تشديدٌ على إيجابِ القيامِ بما أَمَربه تعالى، وأنَّ الرَّسولَ قد فرَغ ممَّا وجَب عليه مِن التبليغِ، وقامتْ عليه الحجَّةُ، ولزِمتْكم الطاعةُ، فلا عذرَلكم في التفريطِ. –أبوحيان-
100	*لَمَّا زجَرعن المعصيةِ ورغَّب في الطَّاعة بقولِه: اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ، ثم أتبعَه بالتكليفِ بقولِه: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، ثمَّ أتْبعَه بالتَّرغيبِ في الطاعةِ والتنفيرِعن المعصيةِ بقولِه: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ، أتْبعَه بنوعٍ آخَرمن الترغيبِ في الطاعةِ والتنفيرِعن المعصيةِ ، فقال قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ....-الرازي- **وأيضًا لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى أنَّ عقابَه شديدٌ لِمَن عصَى، وأنَّه غفورٌ رحيمٌ لِمَن أطاعَ؛ بيَّن أنَّه لا يستوي المطيعُ والعاصي**، وإنْ كان من العُصاةِ والكفَّارِكثرةٌ؛ فلا تَمنعُه كثرتُهم من عقابِهم ، فقال تعالى: قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ.-أبو حيان-

101	**لما ذكر أن الخبيث والطيب لا يستويان , ذكر أن هناك من الكلام أيضاً ممدوح ومذموم ، فيجب تجنب الكلام المذموم .** *لَمَّا قال تعالى: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ صارَ التقديرُ كأنَّه قال: ما بلَّغه الرسولُ إليكم فخُذوه، وكونوا مُنقادِين له، وما لم يُبلِّغْه الرسولُ إليكم فلا تَسْألوا عنه، ولا تَخوضوا فيه؛ فإنَّكم إنْ خُضْتُم فيما لا تَكليفَ فيه عليكم فربَّما جاءَكم بسببِ ذلك الخوضِ الفاسدِ من التكاليفِ ما يَثقُل عليكم ويشقُّ عليكم . **وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ.** *لَمَّا منَع اللهُ تعالى من السُّؤال في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، أوْهَم اللفظُ أنَّ جميعَ أنواعِ السؤالِ ممنوعٌ منه، **فأتْبَعه بما ليس داخلًا في النهي** ، فقال تعالى: وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ.-المحرر-
102	***ولَمّا نَهى عَنِ السُّؤالِ عَنْها لِيَتَعَرَّفَ حالُها؛ عَلَّلَ ذَلِكَ بِأنَّ غَيْرَهم عَرَفَ أشْياءَ؛ وطَلَبَ أنْ يُعْطاها؛ إمّا بِأنْ سَألَ غَيْرَهُ ذَلِكَ؛ وإمّا بِأنْ شَرَعَها؛ وسَألَ غَيْرَهُ أنْ يُوافِقَهُ عَلَيْها؛ وهو قاطِعٌ بِأنَّها غايَةٌ في الحُسْنِ؛ فَكانَتْ سَبَبَ شَقائِهِ.** –البقاعي-
103	*لَمَّا منَع اللهُ تعالى الناسَ مِن البَحثِ عن **أمورٍ لم يُكلَّفوا بالبحْثِ عنها**، كذلك **منَعهم من التزام أُمورٍ لم يُكلَّفوا بالتزامِها**، ولَمَّا كان الكفَّارُ يُحرِّمونَ على أنفسهم الانتفاعَ بهذه الحيوانات، وإنْ كانوا في غايةِ الحاجةِ إلى الانتفاعِ بها؛ بَيَّن الله تعالى أنَّ ذلك باطلٌ ، فقال تعالى: **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ .** أي: لم يأذنِ اللهُ تعالى مطلقًا بأنْ يُفعَل بالأنعامِ شيءٌ ممَّا ابتدعَه الكفَّار، فلم يَشرَعْ لهم البحيرةَ: وهي ناقةٌ يشقُّون أُذُنها، ثم يُحرِّمون رُكوبها ويرَونها محترَمَةً. ولا السَّائبةَ: وهي ناقةٌ، أو بقرةٌ، أو شاة، تُسيَّب وتُخلَّى؛ فلا تُركَبُ ولا يُحمَل عليها، ولا تُؤكَل ولا يُنتفَع منها بشيءٍ. ولا الوصيلةَ: وهي التي تُحرَّم أو تُجعل لآلهتهم. ولا الحاميَ: وهو جملٌ يُحمَى ظهرُه عن الركوب والحَمْل. –المحرر-



٩٦- ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: للمسافرين، ١٠٣- ﴿بَحِيرَةٍ﴾: التي تُقطَعُ أذنُها، وتُخلَّى للطواغيتِ؛ إذا ولدت عددًا من البطونِ، ﴿سَائِبَةٍ﴾: التي تُترَكُ للأصنامِ؛ بسببِ بُرءٍ من مرضٍ، أو نجاةٍ من هلاكٍ، ﴿وَصِيلَةٍ﴾: التي تتصلُ ولادتُها بأنثى بعدَ أنثى؛ فتُترَكُ للطواغيتِ، ﴿حَامٍ﴾: الذكرُ من الإبلِ إذا وُلِدَ من صُلبِه عددٌ من الإبلِ، لا يُركَبُ، ولا يُحمَلُ عليه.

(٩٩) ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ مهمةُ الداعيةِ هي البلاغُ، والنتائجُ بيدِ اللهِ وحدَه.

(١٠١) لا تُكثر من سؤالِ العالمِ عن الأمورِ التي لا فائدةَ من وراءِها.

سَببُ النُّزولِ:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بلَغ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن أصحابِه شيءٌ، فخَطَب فقال: عُرِضَتْ عليَّ الجَنَّةُ والنار، فلمْ أرَكاليوم في الخيروالشرّ، ولو تَعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلًا ولبَكَيتُم كثيرًا! قال: فما أتَى على أصحابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومٌ أشدُّ منه، قال: غطَّوْا رُؤوسَهم ولهم خَنينٌ ، قال: فقام عُمَرُفقال: رَضِينا باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا. قال: فقام ذاك الرجلُ، فقال: من أبي؟ قال: أبوك فلان. فنَزَلَت : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ [المائدة: 101])) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ.

أي: لا تَسألوا- أيُّها المؤمنون- عن أشياءَ لو أظْهر جوابُها لكم لساءَكم وشقَّ عليكم .

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((أيُّها النَّاسُ، قد فَرَض اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا، فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فسكَت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: لو قلتُ: نعمْ، لوجبَت، ولَمَا استطعتُم، ثم قال: ذَروني ما تركتُكم؛ فإنَّما هلَك مَن كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بِشيءٍ فَأْتُوا منهُ ما استطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعوهُ)) .

وعن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضِي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((إنَّ أعظمَ المسلِمين في المسلِمين جُرمًا: مَن سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم على المسلمينَ، فحُرِّم عليهم مِن أجْلِ مسألَتِه)) .



الجزء السابع — سورة المائدة ٥

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ

١٠٤←(٢)→١٠٥
لمَّا حرَّم المشركون ما أحلَّ الله نسبوه هنا لآبائهم، ثُمَّ بيَّن أن من اهتدى لا يضرُّه ضلالُ من ضلَّ.

104	***لَمَّا حرَّموا هذه الأشياءَ** مِنْ قَوْلِه: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ **اضطُرُّوا إلى تحليلِ الميتة، فحرَّموا الطيِّب، وأحلُّوا الخبيثَ!** ولَمَّا اتَّخذوه دِينًا، واعتَقدُوه شَرعًا، ومضَى عليه أسلافُهم، دَعَتْهم الحظوظُ والأَنَفةُ من نِسبةِ آبائهم إلى الضَّلالِ، والشهادةِ عليهم بالسَّفهِ إلى الإصرارِ عليه، وعَدَمِ الرجوعِ عنه بعدَ انكشافِ قبحِه، وبيانِ شناعتِه، فقال تعالى دالًّا على خِتامِ الآية التي قبْلَها مِن عَدَمِ عَقْلِهم . –المحرر- *وقال محمَّد رشيد رضا في بيانِ مناسبةِ هذه الآيةِ والتي قبلَها للآياتِ التي قبلَهما: (وجهُ اتِّصال هاتين الآيتين بما قبلَهما أنَّه سبحانه وتعالى نهَى في السِّياق الذي قبلَهما عن تحريمِ ما أحلَّه الله، وعن الاعتداءِ فيه، وإن كان التحريمُ تركًا لمُباح يُلتزمُ بالنَّذرِ أو بالحلفِ باسمِ الله تنسكًا وتعبدًا، مع اعتقادِ إباحتِه في نفسِه، لا شرعًا يدعى إليه ويعتقدُ وجوبَه، وبيَّن فيه كفارةَ الأيمانِ، وحرَّم الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ، وصيدَ البرِّ على المُحْرِم بحجٍّ أو عمرةٍ، وبعد أن نهَى عن تحريمِ ما أحلَّه، نهَى أن يكونَ المؤمنُ سببًا لتحريمِ الله تعالى شيئًا لم يكنْ حرَّمه، أو شرعِ حكمٍ لم يكنْ شرَعه، بأن يسألَ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم عن شيءٍ مما سكَت الله عنه عفوًا وفضلًا، فيكونَ الجوابُ عنه أن أورد تكليفًا جديدًا، فناسبَ بعدَ هذا أن يبيِّن ضلالَ أهلِ الجاهليَّة فيما حرَّموه على أنفسِهم وما شرعوه لها بغيرِ إذنٍ مِن ربِّهم، وما قلَّد به بعضُهم بعضًا على جهلِهم، مع بيانِ بطلانِ التقليدِ وكونِه ينافي العلمَ والدِّينَ) ((تفسير المنار))

105	***أنَّه لَمَّا كان المانِعُ لهم من قَبولِ الهُدى كونَ ذلك تسفيهًا لآبائهم؛** فيعود ضررًا عليهم يُسبُّون به على زَعْمِهم، أعْلمَ اللهُ المؤمنينَ أنَّ مخالفةَ الغيرِ في قَبول الهُدى لا تضرُّهم أصلًا، بأنْ عقَّبَ آيةَ الإنكارِ عليهم في التقيُّد بآبائهم لمتابعتِهم لهم في الكُفرِ بهذه الآيةِ . ***أيضًا لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى مكابرةَ المشركينَ وإعراضَهم عن دعوةِ الخير** بقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أعْقَبه بتعليمِ المسلمين حدودَ انتهاءِ المناظَرَةِ والمجادلةِ إذا ظهرتِ المكابرةُ، وعُذْرِ المسلمين بكِفايةِ قِيامِهم بما افترَض اللهُ عليهم من الدَّعوة إلى الخيرِ، فأعْلَمَهم أنَّ على الدَّاعي بذْلَ جُهدِه، و أنَّه ليس مسؤولًا إذا لم يُصغِ المدعوُّ إلى الدَّعوة، كما قال تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [القصص: 56]. و أيضًا لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى أنواعَ التَّكاليفِ والشرائعِ والأحكام، ثم قال: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ، إلى قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، فكأنَّه تعالى قال: إنَّ هؤلاء الجُهَّالَ مع ما تقدَّم مِن أنواع المبالغةِ في الإعذارِ والإنذارِ والترغيبِ والترهيبِ لم يَنتفعوا بشيءٍ منه، بل بقُوا مُصرِّين على جَهلِهم، مُجدِّين على جَهالاتِهم وضلالتِهم؛ فلا تُبالوا -أيُّها المؤمنون- بجهالتِهم وضلالتِهم، بل كونوا مُنقادِينَ لتكاليفِ اللهِ، مُطيعينَ لأوامرِه ونواهيه، فلا يضرُّكم ضلالتُهم وجهالتُهم؛ فلهذا قال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ. أي: يا أيُّها المؤمنون ألْزِموا أنفسَكم العملَ بطاعةِ الله تعالى، وترْكَ معصيتِه؛ فإنَّه لا يَضرُّكم مَن سلَك غيرَ سبيلِ الحقِّ، إذا أنتم استقمتُم على صراطِ الله تعالى فآمنتُم بربِّكم وأطعْتُموه، ومِن ذلك: قِيامُكم بواجبِ أمْرِ الناسِ بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكرِ، ولا ضيرَ عليكم بعدَ ذلك إنْ تمادَوْا في غيِّهم وضلالِهم، ما دُمتُم قد أدَّيْتُم حقَّ الله تعالى فيهم. –المحرر-

106	*استئناف مسوق لبيان **الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم**، إثر بيان **الأحوال المتعلقة بأمور دينهم** وفيه من إظهار العناية بمضمونه ما لا يخفى.-الآلوسي- *لمَّا قال الله تعالى في آخر الآية السابقةِ: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ **فذكر أنَّ مرجعنا إليه بعدَ الموتِ**، وأنَّه يُحاسِبُنا ويُجازينا، **ناسب أنْ يُرشِدَنا في أَثَرِ ذلك إلى الوصيَّةِ قبلَ الموت**، وإلى العنايةِ بالإشهادِ عليها؛ لئلَّا تضيعَ .-المنار- *ولَمَّا خاطَبَ - سُبْحانَهُ - أهْلَ ذَلِكَ الزَّمانِ بِأنَّهُ نَصَبَ المَصالِحَ العامَّةَ؛ كالبَيْتِ الحَرامِ؛ والشَّهْرِ الحَرامِ؛ وأشارَ بِآيَةِ البَحِيرَةِ؛ وما بَعْدَها؛ إلى أنَّ أسْلافَهم لا وفَّرُوا عَلَيْهِمْ مالَهُمْ؛ ولا نَصَحُوا لَهم في دِينِهِمْ؛ وخَتَمَ ذَلِكَ بِقَهْرِهِ لِلْعِبادِ بِالمَوْتِ؛ وكَشْفِ الأسْرارِ يَوْمَ العَرْضِ؛ بِالحِسابِ عَلى النَّقِيرِ؛ والقِطْمِيرِ؛ والجَلِيلِ؛ والحَقِيرِ؛ عَقَّبَ ذَلِكَ بِآيَةِ الوَصِيَّةِ؛ إرْشادًا مِنهُ - سُبْحانَهُ - إلى ما يَكْشِفُ سَرِيرَةَ مَن خانَ فِيها؛ عِلْمًا مِنهُ سُبْحانَهُ أنَّ الوَفاءَ في مِثْلِ ذَلِكَ يَقِلُّ؛ وحَثًّا لَهم عَلى أنْ يَفْعَلُوا ما أمَرَ- سُبْحانَهُ - بِهِ؛ لِيَنْصَحُوا لِمَن خَلَّفُوهُ بِتَوْفِيرِ المالِ؛ ويَقْتَدِيَ بِهِمْ؛ فِيما خَتَمَ بِهِ الآيَةَ مِنَ التَّقْوى؛ والسَّماعِ؛ والبُعْدِ مِنَ الفِسْقِ؛ والنِّزاعِ؛ فَقالَ (تَعالى) - مُنادِيًا لَهم بِما عَقَدُوا بِهِ العَهْدَ بَيْنَهم وبَيْنَهُ؛ مِنَ الإقْرارِ بِالإيمانِ.-البقاعي- *وأيضًا **لَمَّا قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ كان في ذلك تنفيرٌ عن الضُّلَّالِ، واستبعادٌ عن أنْ يُنتفع بهم في شيءٍ من أمور المؤمنين من شهادةٍ أو غيرِها، فأخبَرَ تعالى بمشروعيَّةِ شهادتِهم أو الإيصاءِ إليهم في السَّفرِ** -أبو حيان-. *فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ أى: فقاربتم نهاية أجلكم بأن أحسستم بدنو الموت منكم. فليس المراد الموت بالفعل و إنما المراد مشارفته ومقاربته. وسمى- سبحانه- الموت مصيبة، لأنه بطبيعته يؤلم، أو يصحبه أو يقاربه أو يسبقه آلام نفسية.-الوسيط-

ولمَّا خاطَبَ - سُبْحانَهُ - أهْلَ ذَلِكَ الزَّمانِ بِأنَّهُ نَصَبَ المَصالِحَ العامَّةَ؛ كالبَيْتِ الحَرامِ؛ والشَّهْرِ الحَرامِ؛ وأشارَ بِآيَةِ البَحِيرَةِ؛ وما بَعْدَها؛ إلى أنَّ أسْلافَهم لا وفَّرُوا عَلَيْهِمْ مالَهُمْ؛ ولا نَصَحُوا لَهم في دِينِهِمْ؛ وخَتَمَ ذَلِكَ بِقَهْرِهِ لِلْعِبادِ بِالمَوْتِ؛ وكَشْفِ الأسْرارِ يَوْمَ العَرْضِ؛ بِالحِسابِ عَلى النَّقِيرِ؛ والقِطْمِيرِ؛ والجَلِيلِ؛ والحَقِيرِ؛ **عَقَّبَ ذَلِكَ بِآيَةِ الوَصِيَّةِ؛ إرْشادًا مِنهُ - سُبْحانَهُ - إلى ما يَكْشِفُ سَرِيرَةَ مَن خانَ فِيها؛ عِلْمًا مِنهُ سُبْحانَهُ أنَّ الوَفاءَ في مِثْلِ ذَلِكَ يَقِلُّ**؛ وحَثًّا لَهم عَلى أنْ يَفْعَلُوا ما أمَرَ- سُبْحانَهُ - بِهِ؛ لِيَنْصَحُوا لِمَن خَلَّفُوهُ بِتَوْفِيرِ المالِ؛ ويَقْتَدِيَ بِهِمْ؛ فِيما خَتَمَ بِهِ الآيَةَ مِنَ التَّقْوى؛ والسَّماعِ؛ والبُعْدِ مِنَ الفِسْقِ؛ والنِّزاعِ؛ فَقالَ (تَعالى) - مُنادِيًا لَهم بِما عَقَدُوا بِهِ العَهْدَ بَيْنَهم وبَيْنَهُ؛ مِنَ الإقْرارِ بِالإيمانِ -: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾. –البقاعي-

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٢٥

١٠٦←(٣)←١٠٨

لمَّا ذكرَ اللهُ في الآيةِ السابقةِ أن المرجعَ إليه بعدَ الموتِ فيُحاسِبُنا ويُجازينا ناسَبَ هنا أنْ يُرشِدَنا إلى الوصيَّةِ قبلَ الموتِ، وإلى العنايةِ بالإشهادِ عليها لئلَّا تضيعَ.

١٠٥- ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: الزموا أنفسكم العمل بالطاعة. ١٠٦- ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم. ١٠٧- ﴿عُثِرَ﴾: اطُّلع. ﴿إِثْمًا﴾: خيانة. ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: الأقربان للميت.

(١٠٥) ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ضلال الناس لا يضرُّ المؤمن إذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر بحسب طاقته.

(١٠٦) ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ سمى الله الموت مصيبة، والموت وإن كان مصيبة عظمى فأعظم منه الغفلة عنه، وترك العمل له.

١٠٤: النساء [٦١]، ١٠٤: البقرة [١٧٠]، ١٠٦: البقرة [١٨٠]، المائدة [١٠٧].

قال القرطبي: ولا أعلم خلافا أن هذه الآيات نزلت بسبب تميم الداري وعدى بن بداء، روى البخاري والدّارقطنيّ وغيرهما عن ابن عباس قال: كان تَمِيم الدَّارِيّ وعَدِيّ بن بَدَّاءٍ يختلفان إلى مكة فخرج معهما فتى من بنى سهم فتوفى بأرض ليس بها مسلم، فأوصى إليهما فدفعا تركته إلى أهله وحبسا جاما من فضة مخوصا بالذهب- أى عليه صفائح الذهب مثل خوص النخل- فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما كتمتما ولا اطلعتما» ثم وجد الجام بمكة فقالوا:

اشتريناه من عدى وتميم، فجاء رجلان من ورثة السهمي فحلفا أن الجام للسهمى، ولشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، قال: فأخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الآيات «1» .

هذا، والمعنى الإجمالى لهذه الآيات: أن الله- تعالى- شرع لكم- أيها المؤمنون- الوصية في السفر فعلى من يحس منكم بدنو أجله وهو في السفر أن يحضر رجلا مسلما يوصيه بإيصال ماله لورثته فإذا لم يجد رجلا مسلما فليحضر كافرا، والاثنان أحوط، فإذا أوصلا ما عندهما إلى ورثة الميت. وارتاب الورثة في أمانة هذين الرجلين، فعليهم في هذه الحالة أن يرفعوا الأمر للحاكم، وعلى الحاكم أن يستحلف الرجلين بالله بعد الصلاة بأنهما ما كتما شيئا من وصية وما خانا. فإذا ظهر بعد ذلك للحاكم أو لورثة الميت أن هذين الرجلين لم يكونا أمينين في أداء ما كلفهما الميت بأدائه، فعندئذ يقوم رجلان من أقرب ورثة الميت، ليحلفا بالله أن شهادتهما أحق وأولى من شهادة الرجلين الأولين، وأن هذين الرجلين لم يؤديا الوصية على وجهها.

ثم بين- سبحانه- في الآية الثالثة أن ما شرعه الله لهم هو أضمن طريق لأداء الشهادة على وجهها الصحيح وعليهم أن ير اقبوه ويتقوه لكي يكونوا من المؤمنين الصادقين



فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ
مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ
أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٢٥

١٠٦←(٣)→١٠٨

لمَّا ذكرَ اللهُ في الآيةِ السابقةِ أن المرجعَ إليه بعدَ الموتِ فيُحاسِبُنا ويُجازينا ناسَبَ هنا أنْ يُرشِدَنا إلى **الوصيَّةِ قبلَ الموتِ**، وإلى العنايةِ بالإشهادِ عليها لئلَّا تضيعَ.

١٠٥- ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: الزموا أنفسكم العمل بالطاعة، ١٠٦- ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم، ١٠٧- ﴿إِثْمًا﴾: خيانة، ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: الأقربان للميت.

(١٠٥) ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ضلالُ النَّاس لا يضرُّ المؤمنَ إذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر بحسب طاقته.
(١٠٦) ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ سمَّى الله الموت مصيبةً، والموتُ وإن كان مصيبةً عظمى فأعظمُ منه الغفلةُ عنه، وتركُ العمل له.

١٠٤: النساء [٦١]، ١٠٤: البقرة [١٧٠]، ١٠٦: البقرة [١٨٠]، المائدة [١٠٧].

107	****ثم بين- سبحانه- الحكم فيما إذا تبين أن الرجلين اللذين دفع إليهما الموصى ما له لم يكونا أمينين** فقال: فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً -الوسيط- *فأنت ترى أن الله- تعالى- قد أكد هذا القسم بجملة من المؤكدات منها: أن الحالفين يحلفان بأنهما لا يحصلان بيمين الله ثمنا مهما كانت قيمته، وبأنهما لن يحابيا إنسانا مهما بلغت درجة قرابته وبأنهما لن يكتما الشهادة التي أمرهما الله بأدائها على وجهها الصحيح، وبأنهما يقران على أنفسهما باستحقاق عقوبة الآثم المذنب إن كتما أو خانا أو حادا عن الحق، وهذا كله لأجل أن تصل وصية الميت إلى أهله كاملة غير منقوصة.-الوسيط-
108	***والجملة الكريمة بيان لحكمة مشروعية التحليف بالتغليظ المتقدم،** وقوله: أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ **بيان لحكمة رد اليمين على الورثة.** وهو معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام فكأنه قيل: ذلك الذي شرعناه لكم أقرب إلى أن يأتي الأوصياء بالشهادة على وجهها الصحيح ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة، أو يخافوا أن ترد أيمان على الورثة بعد أيمانهم فيظهر كذبهم على رؤوس الأشهاد، فيكون ذلك الخوف داعيا لهم إلى النطق بالحق وترك الكذب والخيانة.-الوسيط- *ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ. أى: و اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون من أموركم واسمعوا ما تؤمرون به سماع إذعان وقبول وطاعة واعلموا أن الله- تعالى- لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته إلى طريق الخير والفلاح، لأنهم آثروا الغي على الرشد واستحبوا العمى على الهدى. فهذا الختام للآية الكريمة اشتمل على أبلغ ألوان التحذير من معصية الله ومن مخالفة أمره.



(109 – 111)
عيسى بين يدي الله في القيامة

(112-115)
المائدة

(116-118)
التبرؤ من التأليه

(119-120)
كلمة الحق و الختام

خاتمة السورة

(109-120)



خاتمة السورة
(109-120)

مراجعة العقود يوم القيامة

متى تراجع العقود؟ يوم القيامة. ولذلك كان الختام الرائع للسورة.

(يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ) (109).

لاحظ ترابط آيات السورة، ففي البداية (أوفوا بالعقود) وفي وسط السورة (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)(من أحكام الحلال والحرام) لتختم السورة بـ (يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ).

وفي ختام السورة تأتي قصة سيدنا عيسى عليه السلام وتبرؤه من الذين ضلوا عن سبيله من النصارى. وهذا يفيد في التبرؤ من التقليد الأعمى للآخرين، فكيف ستتبعوهم يا مسلمين وسيدنا عيسى عليه السلام نفسه سيتبرأ منهم يوم القيامة.

ولأهمية ذكر يوم القيامة في حث الناس على الإيفاء بعهودهم تأتي هنا آية رائعة: (قَالَ ٱللهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ...) (119). والصادقون هم الذين يوفون بعقودهم مع الله ومع الناس

قال أبو السعود: قوله- تعالى: إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ شروع في بيان ما جرى بينه- تعالى- وبين واحد من الرسل المجموعين، من المفاوضة على التفصيل، إثر بيان ما جرى بينه- تعالى- وبين الكل على وجه الإجمال ليكون ذلك كالأنموذج لتفاصيل أحوال الباقين، وتخصيص شأن عيسى بالبيان، لما أن شأنه- عليه السلام- متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين نعت عليهم هذه السورة جناياتهم. فتفصيل شأنه يكون أعظم عليهم، وأجلب لحسراتهم، وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم»

عيسى بين يدي الله في القيامة : (109 - 111)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي

١٠٩ ← (٢) → ١١٠
بعدَ الحديثِ عن الوصيةِ قبلَ الموتِ يأتي التذكيرُ بيومِ القيامةِ وسؤالُ الرسلِ عن إجابةِ قومِهم لهم، ثُمَّ الحديثُ عن نعمِ اللهِ على عيسى عليه السلام وأمِّه، وما أيَّده اللهُ به من معجزاتٍ.

١١١ ← (٣) → ١١٣
نعمةٌ تاسعةٌ

ثم ذكر- سبحانه- بعض النعم التي أنعم بها على عيسى وأمه

110

لَمَّا كان الغَرَضُ من قولِه تعالى للرُّسلِ: مَاذَا أُجِبْتُمْ **توبيخَ مَن تمرَّدَ مِن أُمَمِهم**، وكان **أشدَّ الأممِ افتقارًا إلى التوبيخِ والملامةِ النَّصارى** الذين يَزعُمون أنَّهم أتْباعُ عيسى عليه السَّلام؛ **لأنَّ طَعْنَ سائرِ الأُمَمِ كان مقصورًا على الأنبياءِ، وطَعْنَ هؤلاءِ الملاعِينَ تعدَّى إلى جلالِ اللهِ وكِبريائِه**؛ حيث وصَفُوه بما لا يَليقُ بعاقلٍ أن يصفَ الإلهَ به، وهو اتِّخاذُ الزوجةِ والولدِ؛ فلا جرَمَ **ذَكَر اللهُ تعالى أنَّه يُعدِّد أنواعَ نِعَمه على عيسى بحضرةِ الرُّسلِ واحدةً فواحدةً، والمقصودُ منه توبيخُ النصارى وتقريعُهم على سوءِ مَقالتِهم؛ فإنَّ كلَّ واحدةٍ مِن تلك النِّعَمِ المعدودة على عيسى تدلُّ على أنَّه عبدٌ وليس بإلهٍ.** –الرازي-

•109للّهِ أدبُ الرسُل وأخلاقُهم! فهم ينفون عن أنفسهم العلمَ بالغيب من دون اللّه، ولا يحكمون على ما في ضمائر الناس، ويترفَّعون عن تصفيةِ الحسابات مع الأتباع المكذِّبين.

•في مواقفِ الهيبة قد تخرَسُ الألسنة، ولا تَنبِسُ الأفواه ببنتِ شَفة، فكيف بموقفِ العرض الأكبر، أمامَ الربِّ العظيم؟!

109

*لَمَّا أخبَرَ تعالى **بالحُكم في شاهِدَيِ الوصيَّة، وأمَر بتَقْوى اللهِ، والسَّمع والطَّاعة، ذكَّر بهذا اليومِ المَهُولِ المخوفِ، وهو يومُ القيامةِ فجَمَع بذلك بين فَضيحةِ الدُّنيا، وعقوبةِ الآخِرة لِمَن حرَّف الشهادةَ، ولِمَن لم يتَّقِ اللهِ ولم يَسمعْ .**

و أيضًا لَمَّا كان من عادةِ القُرآنِ الكريمِ أنَّه إذا ذَكَر أنواعًا كثيرةً من الشَّرائع والتَّكاليف والأحكامِ، أتْبَعَها إمَّا بالإلهيَّات، وإمَّا بشَرْحِ أحوالِ الأنبياء، أو بشَرْحِ أحوال القيامة؛ **ليصير ذلك مؤكِّدًا لِما تَقدَّم ذِكرُه من التكاليف والشَّرائع**، فلا جرمَ لَمَّا ذكَر فيما تَقدَّم أنواعًا كثيرة من الشَّرائعِ أتْبَعَها بوصْفِ أحوالِ القيامةِ أولًا، ثمَّ ذِكْرِ أحوالِ عيسى عليه السَّلامُ .

*وبعد أن ساقت السورة الكريمة قبل ذلك ما ساقت من تشريعات حكيمة ومن تفصيل لأحوال أهل الكتاب وعقائدهم الزائفة. بعد كل ذلك اتجهت السورة في أواخرها إلى الكلام عن أحوال الناس يوم القيامة وعن معجزات عيسى- عليه السلام- وعن موقف الحواريين منه.

*اعلم أن عادة الله تعالى- جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام، أتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة. ليصير ذلك مؤكدا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر- فيما تقدم أنواعا كثيرة من الشرائع، أتبعها بوصف أحوال القيامة.

في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها متصلة بما قبلها والتقدير: و اتقوا الله يوم يجمع الله الرسل- فيكون قوله:

يَوْمَ يَجْمَعُ بدل اشتمال من قوله في الآية السابقة وَ اتَّقُوا اللَّهَ والقول الثاني: أنها منقطعة عما قبلها والتقدير: اذكروا يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ.

والمعنى: لقد سقنا لكم- أيها الناس- ما سقنا من الترغيب والترهيب وبينا لكم ما بينا من الأحكام والآداب، فمن الواجب عليكم أن تتقوا الله وأن تحذروا عقابه، وأن تذكروا ذلك اليوم الهائل الشديد يوم يجمع الله الرسل الذين أرسلهم إلى مختلف الأقوام. في شتى الأمكنة والأزمان فيقول لهم: ماذا أجبتم من أقوامكم؟

أى: ما الإجابة التي أجابكم بها أقوامكم؟

وخص- سبحانه- الرسل بالذكر- مع أن الرسل وغيرهم سيجمعون للحساب يوم القيامة- لإظهار شرفهم وللإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم من الأقوام لأن هؤلاء الأقوام إنما هم تبع لهم.

فإن قلت: ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم. كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد.

فإن قلت: كيف يقولون: «لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا؟» .

قلت: يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم- أى: بما ابتلوا به منهم-، وكابدوا من سوء إجابتهم، إظهارا للتشكى واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم، وذلك أعظم على الكفرة، و أنت في أعضادهم، وأجلب لحسرتهم

***وقد عدد عليه من النعم سبعا:** إِذْ أَيَّدْتُكَ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ وَإِذْ تَخْلُقُ وإِذْ تَبَرَّأَ. وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى وَإِذْ كَفَفْتُ وَإِذْ أَوْحَيْتُ

ثم حكى- سبحانه- بعض ما داربين عيسى وبين الحواريين فقال: إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ



111	*ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك ما قاله الحواريون لعيسى، وما طلبوه منه، مما يدل على إكرام الله- تعالى- لنبيه عيسى. –الوسيط- *واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا وأعوانا. فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي، أو أوحيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان.-السعدي-
112	*المائدة : **هذه تذكرة تبين طلب الحواريين من معجزة مادية هي أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء برروا أسبابها.** *وقد ذكروه باسمه ونسبوه إلى أمه- كما حكى القرآن عنهم- لئلا يتوهم أنهم اعتقدوا ألوهيته أوولديته
113	*ولّما كانَتِ المُعْجِزاتُ إنَّما تُطْلَبُ لِإيمانِ مَن لَمْ يَكُنْ آمَنَ؛ وكانَ في هَذا الجَوابِ أتَمَّ زَجْرِلَهُمْ؛ تَشَوَّفَ السّامِعُ إلى جَوابِهِمْ.-البقاعي-

•113قد تحتاج بعضُ القلوبِ إلى شيء من براهين الحقِّ تَراها عِيانًا في عالَم الشهادة؛ حتى يقوى إيمانُها بعالَم الغيب، فتأتي المعجزةُ على يد الأنبياء والمرسلين، والكرامةُ على يد الأولياء والصالحين

مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١١١←(٣)←١١٣ نعمةٌ تاسعةٌ ومعجزةٌ بعدَ النِّعمِ الثماني المتقدِّمةِ: سؤالُ الحواريينَ لعيسى عليه السلام بأن ينزلَ عليهم مائدةً من السماءِ (قصّةُ المائدةِ).

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ — ١٢٦

١١٠- ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام، ﴿وَٱلْكِتَـٰبَ﴾: الكتابة، ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: من وُلد أعمى، ١١٢- ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: أصفياء عيسى عليه السلام.
(١٠٩) ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ على الدُّعاةِ إلى اللهِ أن يوقنوا أنَّ الله سائلهم عمّا قدّموا لهذا الدّين، ومحاسبهم عليه.
(١١٠) ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى﴾ تذكّرْ نعمَ الله عليك، فهذا يُعينُ على شكرِها.
(١١٠) ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ... وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قدّم المنّةَ بتعليمِ التوراةِ والإنجيلِ على إحياءِ الموتى، هنيئًا لكم يا أهلَ القرآنِ.
١٠٩: البقرة [٣٢]، ١١٠: آل عمران [٤٩]، الصف [٦].

وقدموا ذكر الإيمان لأنه صفة القلب، وأخروا ذكر الإسلام لأنه عبارة عن الانقياد الظاهر فكأنهم قالوا: لقد استقر الإيمان في قلوبنا استقرارا مكينا، كان من ثماره أن انقادت ظواهرنا لكل ما يأمرنا اللّه به على لسانك يا عيسى.

*فإن قيل: إنه- تعالى- قال في أول الآية اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ ثم إن **جميع ما ذكره- تعالى- من النعم مختص بعيسى، وليس لأمه تعلق بشيء منها**. قلنا: كل ما حصل للولد من النعم الجليلة والدرجات العالية فهو حاصل على سبيل التضمن والتبع للأم ولذلك قال- تعالى- وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً فجعلهما معا آية واحدة لشدة اتصال كل واحد منهما بالآخر.

*وإنما ذكر- سبحانه قوله(وَإِذْ أَوْحَيْتُ)في معرض تعديد النعم لأن **صيرورة الإنسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم، من أعظم نعم اللّه على الإنسان.**



ثم حكى القرآن ما رد به الحواريون على عيسى فقال: قالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ.

أى: قال الحواريون لعيسى إننا نريد نزول هذه المائدة علينا من السماء لأسباب:

1. أولها: أننا نرغب في الأكل منها لننال البركة، ولأننا في حاجة إلى الطعام بعد أن ضيق علينا أعداؤك وأعداؤنا الذين لم يؤمنوا برسالتك.
2. وثانيها: أننا نرغب في نزولها لكي تزداد قلوبنا اطمئنانا إلى أنك صادق فيما تبلغه عن ربك، فإن انضمام علم المشاهدة إلى العلم الاستدلالي، مما يؤدى إلى رسوخ الإيمان، وقوة اليقين.
3. وثالثها: أننا نرغب في نزولها لكي نعلم أن قد صدقتنا في دعوى النبوة، وفي جميع ما تخبرنا به من مأمورات ومنهيات، لأن نزولها من السماء يجعلها تخالف ما جئتنا به من معجزات أرضية، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على صدقك في نبوتك.
4. ورابع هذه الأسباب: أننا نرغب في نزولها لكي نكون من الشاهدين على هذه المعجزة عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل، ليزداد الذين آمنوا منهم إيمانا، ويؤمن الذي عنده استعداد للإيمان.

وبذلك نرى ان الحواريين قد بينوا لعيسى- كما حكى القرآن عنهم- أنهم لا يريدون نزول المائدة من السماء لأنهم يشكون في قدرة الله، أوفي نبوة عيسى أوأن مقصدهم من هذا الطلب التعنت. و إنما هم يريدون نزولها لتلك الأسباب السابقة التي يبغون من ورائها الأكل وزيادة الإيمان واليقين والشهادة أمام الذين لم يحضروا نزولها بكمال قدرة الله وصدق عيسى في نبوته.

آراء العلماء في نزول المائدة: الجمهور على أنها نزلت.

وقد رجح ذلك ابن جرير فقال ما ملخصه: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله أنزل المائدة.. لأن الله لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخلف وقد قال- تعالى- مخبرا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى حين سأله ما سأله من ذلك إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ وغير جائز أن يقول الله إنى منزلها عليكم ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه- تعالى- خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر .

وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير فقال: وهذا القول هو- والله أعلم- الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم



الجزء السابع — سورة المائدة ٥

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

١١٤←(٢)←١١٥ لمّا سألوا عيسى ﷺ أجابهم هنا ودعا الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء، فاستجاب الله له.

وفي ذِكْرِقِصَّةِ المائِدَةِ في هَذِهِ السُّورَةِ الَّتي افْتُتِحَتْ بِإحْلالِ المَآكِلِ؛ واخْتُتِمَتْ بِها؛ أعْظَمُ تَناسُبٍ؛ وفي ذَلِكَ كُلِّهِ إشارَةٌ إلى تَذْكِيرِهَذِهِ الأُمَّةِ بِما أنْعَمَ عَلَيْها بِما أعْطى نَبِيَّها مِنَ المُعْجِزاتِ؛ ومَنَّ عَلَيْها بِهِ مِن حُسْنِ الِاتِّباعِ؛ وتَحْذِيرٌ مِن كُفْرانِ هَذِهِ النِّعَمِ المُعَدَّدَةِ عَلَيْهِمْ. –البقاعي-

114	***ثم حكى- سبحانه- ما تضرع به عيسى بعد أن سمع من الحواريين ما قالوه في سبب طلبهم لنزول المائدة من السماء** فقال- تعالى- قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قال الفخر الرازي: تأمل في هذا الترتيب، فإن الحواريين لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضا، فقدموا ذكر الأكل فقالوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وأخروا الأغراض الدينية الروحانية. فأما عيسى فإنه لما ذكر المائدة وذكر أغراضه فيها قدم الأغراض الدينية وأخر غرض الأكل حيث قال: وَارْزُقْنا وعند هذا يلوح لك مراتب درجات الأرواح في كون بعضها روحية، وبعضها جسمانية. ثم إن عيسى لشدة صفاء دينه لما ذكر الرزق انتقل إلى الرازق بقوله وَارْزُقْنا لم يقف عليه: بل انتقل من الرزق إلى الرازق ***فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك**، فقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَ آيَةً مِّنْكَ﴾ أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين. كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم. ﴿وَارْزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: اجعلها لنا رزقا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا.-السعدي-
115	*لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادا وظلما، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم -إن كفروا- بهذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه. أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا، و إنما ذلك كان متوارثا بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ والله أعلم بحقيقة الحال.-السعدي-



وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١٢٧

١١٦←(٢)←١١٧
بعدَ أن عَدَّدَ اللهُ النِّعمَ على عيسى عليه السلام، ذكرَ هنا أنه سيوجَّه له سؤالًا خطيرًا يومَ القيامةِ توبيخًا للنصارى، ثُمَّ ردُّ عيسى عليه السلام عليه سبحانه وتعالى.

١١٨←(٣)←١٢٠
تفويضُ عيسى عليه السلام الأمرَ كلَّه إلى اللهِ، وثناءُ اللهِ على الصَّادقينَ.

١١٤- ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾: نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه، ١١٥- ﴿فَمَن يَكْفُرْ﴾: فمن يكذب، ١١٦- ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾: ما ينبغي لي.
١١٨- ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بما أنعم عليهم من النعم العظيمة.
(١١٤) ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سُئل أحدُ العُبّاد: لِمَ وُصف الله بخير الرازقين؟ قال: لأنه إذا كفر أحدٌ لا يقطع رزقه.
(١١٥) ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ...﴾ إياك أن تعاهد الله ثم يعطيك ما تريد، فتنقض عهدك، فإنه مظنة العذاب الشديد.
(١١٩) ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ الصدق ينفع أهله في الدنيا والآخرة.

- **116يا طاهرَ العِرض ويا عليَّ المقام، إذا رُميتَ بأوابد الزور والبهتان، فهوِّن عليك، فقد رُميَ بالبهت مَن هو خيرٌ منك، واتُّهِمَ مَن هو أعلى مقامًا من مقامك.**
- **حين يبلغ التوحيدُ في القلب غايةً عُليا يُصبح همُّ صاحبه تنزيهَ اللّه عمَّا لا يليق به، فيقدِّمه على تنزيه نفسه وتبرئةِ ساحتها.**
- **إن لم يكن للرسل حقٌّ في الألوهيَّة فإن مَن دونهم من باب أولى؛ فلا أحدَ يستحقُّ أن يكونَ إلهًا يُعبد من دون اللّه عزَّ وجلّ.**
- **إنه الأدبُ الجميل في حضرة الربِّ الجليل، وغايةُ الخضوعِ والتواضع، وحسنُ تفويضِ الأمور بالكليَّة إلى الحقِّ جلَّ جلاله.**

116	*أي: واذكُرْيا محمَّدُ حِينَ يقولُ اللهُ تعالى لعيسى عليه السَّلام يومَ القيامةِ بحَضرةِ النَّصارى توبيخًا لهم: يا عيسى ابنَ مَريمَ، هل قُلتَ بنفسِك للنَّاس: اجْعَلوني أنا وأُمِّيَ مَعبودَينِ مِن دونِ اللهِ سبحانه وتعالى ؟-المحرر-
117	***ولَمّا نفى عَنْ نَفْسِهِ ما يَسْتَحِقُّ النَّفْيَ؛ ودَلَّ عَلَيْهِ؛ أثْبَتَ ما قالَهُ لَهُمْ.** –البقاعي-
118	*ولَمّا كانَ هَذا الَّذِي سَلَفَ كُلُّهُ؛ سُؤالًا؛ وجوابًا؛ وإخْبارًا؛ حَمْدَ اللَّهِ (تَعالى) وثَناءً عَلَيْهِ بِما هو أهْلُهُ؛ بِالتَّنْزِيهِ لَهُ؛ والِاعْتِرافِ بِحَقِّهِ؛ والشَّهادَةِ لَهُ بِعِلْمِ الخَفايا؛ والقُدْرَةِ؛ والحِكْمَةِ؛ وغَيْرِ ذَلِكَ مِن صِفاتِ الجَلالِ؛ والجَمالِ؛ وكانَ هَذا السُّؤالُ يُفْهِمُ إرادَةَ التَّعْذِيبِ لِلْمَسْؤُولِ عَنْهُمْ؛ مُشِيرًا إلى الشَّفاعَةِ فِيهِمْ عَلى وجْهِ الحَمْدِ لِلَّهِ - سُبْحانَهُ وتَعالى - والثَّناءِ الجَمِيلِ عَلَيْهِ؛ لِأنَّ العَذابَ - ولَوْ لِلْمُطِيعِ - عَدْلٌ؛ والعَفْوَ عَنِ العاصِي - بِأيِّ ذَنْبٍ كانَ - فَضْلٌ مُطْلَقًا.-البقاعي-
119	***لَمّا انقضَى جوابُ عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام على هذا الوجهِ الجليلِ من تفويضِ الأمرِ للّهِ** في قوله: إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، **تشوَّفَ السامعُ إلى جوابِ اللّهِ له**. فقال تعالى مشيرًا إلى كونِ جوابه حقًّا ومضمونه صِدقًا، منبِّهًا على مَدحه، حاثًّا على ما بُنِيَت عليه السُّورةُ مِن الوفاءِ بالعُقود .-المحرر- ***لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.** مُناسَبَتُها لِمَا قَبْلَها: **لَمّا أخبر اللّه تعالى أنَّ صِدقَ الصَّادقين في الدُّنيا يَنفَعُهم في القيامة، شَرَح كيفيَّةَ ذلك النَّفع وهو الثواب**. -المحرر- *عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: ((ثمَّ يَتجلَّى لهم ربُّهم تعالى، ثم يقولُ: سَلُوني أُعطِكم، فيَسألونه الرِّضا، فيقولُ: رِضائي أَحلَّكم داري، و أَنالَكُم كرامتي، فسلُوني أُعطِكم، فيسألونَه الرِّضا، فيُشْهِدُهم أنَّه قدْ رَضِيَ عنهم))-حسن لغيره-
120	***لَمّا ذَكَر اللّهُ عزَّ وجلّ ما جرَى بَينَه وبينَ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وأنَّ عيسى تبرَّأ ممَّا يدَّعِي النصارى فيه؛ بَيَّنَ عزَّ وجلَّ أنَّ له مُلكَ السَّمواتِ والأرض**، وأنَّ عيسى لا يَصلُح أنْ يكونَ إلهًا لا هو ولا غيرُه؛ لأنَّهم لا يَملِكون شيئًا ممَّا في السَّمواتِ والأرض.-ابن عثيمين- *وإن هذه الآية الكريمة، لمتسقة كل الاتساق مع الآية التي قبلها، لأنه- سبحانه- **بعد أن بين جزاء الصادقين في دنياهم عقبه ببيان سعة ملكه، وشمول قدرته الدالين على أن هذا الجزاء لا يقدر عليه أحد سواه- سبحانه-.** وإن هذه الآية الكريمة- أيضا- لمتسقة كل الاتساق لأن تكون خاتمة لهذه السورة التي ساقت ما ساقت من تشريعات وأحكام وآداب وهدايات ومن حجج حكيمة، وأدلة ساطعة دحضت بها الأقوال الباطلة التي افتراها أهل الكتاب.- خصوصا النصارى- على عيسى وأمه مريم، وبرهنت على أن عيسى وأمه ما هما إلا عبدان من عباد الله، يدينان له بالعبادة والطاعة والخضوع، ويأمران غيرهما بأن ينهج نهجهما في ذلك



- 118اللهم إنا عبيدُك الخطَّاؤون، و أنت سيّدُنا الكريم، وشأنُ السيّد الكريم أن يتعطَّف على عبيده، وما كان لِيَشقى عبدٌ أنت سيّدُه.
- لا يَعجِز اللهُ تعالى عن الانتقام ممَّن يستحقُّه، فإن غفرَ فإنما ذلك عن كمالِ علم و اقتدار.
- ما الناسُ إلا قسمانِ: معذَّبٌ، ومغفورٌ له، فاللهم اجعلنا من أهل مغفرتك، ولا تمسَّنا بعذابك؛ فما لنا بعذابك طاقة.

- 119إذا ضاعَ منك بعضُ منافع الدنيا بسبب صدقك فلا تحزن؛ فستجني ثماره و أنت أحوجُ ما تكون إليه في الآخرة.
- لا يُزهدنَّك في المبادئ والمُثُل العليا كثرةُ تكاليفها، ولكن انظر إلى إشراق نهاياتها، فمراراتُ الأوائل، حلاواتُ الأواخر.
- كيف تجد شعورَك لو رضيَ عنك ملوكُ الدنيا؟ فكيف سيكون شعورُك لو رضي عنك ملكُ الملوك سبحانه، وأدخلك نعيمَ جِنانه؟!
- 120مَن ذا الذي يملكُ السماواتِ والأرض، ويتصرَّفُ فيهما كيف يشاء إلا الحيُّ القيُّوم؟ فهل يعقِلُ هذا من يدَّعي الألوهيَّةَ لعبدٍ من عبيده؟



مناسبة أول السورة لآخرها، وفيها سبعة أوجه:

الوجه الأول: بدأت السورة بالأمر بالوفاء بالعقود، وأن الله يـحـكـم مـا يـريـد في قوله: «يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعلم إلا مايتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد ، وختمت بقوله: «لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير) ، فالكون كله لله، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد).

الوجه الثاني: ذكر الوفاء بالعقود في بداية السورة، وذلك قوله: «يـأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود »، وذكر في خاتمة السورة ما أخذه عيسى * على بني إسرائيل؛ أن يعبدوا الله، فتركـوا الـوفـاء بالعهـد، وذلك في قوله: « ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ [المائدة: 117]).

الوجه الثالث : ذكر في خاتمة السورة بعض العقود التي أمر بالوفاء بها في أولها؛ كعقد الوصية، والأيمان.

الوجه الرابع: ذكر في أوائل السورة ما نزل في عرفـة مـن القـرآن، وذلك في قوله: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: 3]، ويـوم عـرفـة ومـا بعده هو عيد للمسلمين لأولهم وآخرهم، وذكر في أواخر الشورة أنّ المائدة تكـون لـهـم عـيـدا لأولهم وآخرهم، وذلك في قوله: «تكون لنا عيدا لأولنا وءاخرنا ﴾ [المائدة: 114]"

الوجه الخامس: افتتحت السورة بتحريم الصيد للمحرم، وبه ختمت في قوله: وحرم عليكم صيد البر ما دمتم خرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون ﴾ [المائدة: 96]).

الوجه السادس: بدأت السورة بالحديث عن الشهر الحرام والهدي والقلائد، وختـمـت بـه في قوله: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قيما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾ [المائدة: 97]).

الوجه السابع : ذكر في مطلع السورة بيان بعض أحكام الأطعمة، وفي خاتمتها

ذكر قصة المائدة، وهي إنزال الطعام من السماء

فايز السريح

أسئلة مراجعة حفظ سورة المائدة :

1- اليوم أحل لكم
2- واذكروا نعمة الله عليكم
3-فبما نقضهم ميثاقهم
4- يا أهل الكتاب(الموضع الثاني)
5- لقد كفر (الموضع الأول)
6- فبعث الله غرابا
7- إلا الذين تابوا
8- ألم تعلم أن الله
9- وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ
10-إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
11-وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا
12-إن الذين آمنوا
13-قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
14-والذين كفروا (الموضع الثاني)
15- إن الذين كفروا
16-وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ
17- اعلموا أن الله
18- ما جعل الله
19-(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)
20-وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى

1- (إنّا أنزلنا .....)
2- (فترى ....)
3- (ليس على الّذين .....)
4- (يسئلونك .....)
5- (ترى .....)
6- (لقد أخذنا .....)
7- (قل لا ......)
8- (يريدون أن يخرجوا .....)
9- (ولو أنّهم أقاموا .....)
10- (فمن تاب .....)
11- (ولقد أخذ .....)
12- (وأن احكم .....)
13- (ما قلت .....)
14- (ترى .....)
15- (وأطيعوا .....)
16- (يهدي به .....)
17- (إنّما يريد .....)
18- (وإذا سمعوا .....)
19- (وترى .....)
20- (قل هل .....)

اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا إماما ونورا وهدى ورحمة
اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وشفاء همومنا وأحزاننا
اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا واجعله حجة لنا يا رب العالمين